«تعريف بكتاب»
طريق الحجّ الأحسائي(٤)

إعداد: إدارة المجلة

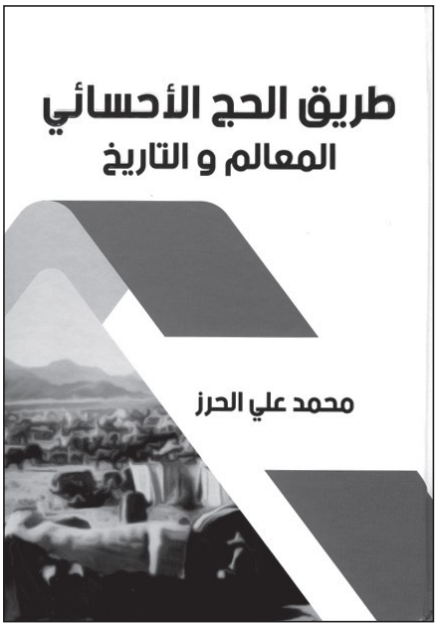

نظـراً لمنهـج مجلة «ميقـات الحـجّ»، وعنايتها بالشـؤون الثقافيـة والتاريخية والسياسـية والاجتماعيـة للحـجّ ودائرتـه المباركـة...، فتحـت بابهـا لا فقـط لاسـتقبال مـا يتفضل به

الكتّاب، ويبادر به العلماء والمحققون من بحوث ومقالات من أفكار وآراء حول عنايتها المذكورة، وإن لم تكتفِ بانتظار ما تجود به معرفتهم وأناملهم، بل راحت إدارتها تسمع وتقرأ وتلاحق ما يكتب هنا وينشر أو يُلقى هناك؛ ما دام يصبُّ في دائرتها المعرفية؛ لإعطائه مساحة مناسبة في المجلة، حرصاً منها في إغناء مكتبتها الخاصة وتراثها المعرفي، ومشاركةً منها في نشر ما تصبو إليه من أهداف كبيرة؛ تتمدّد على مساحة واسعة من الحرمين المباركين مكة المكرمة والمسجد النبوي وما حولهما من طرق وأماكن ومواقع.

إنّ هذا الكتاب «**طريق الحج الأحسائي**» لمؤلفه سماحة الشيخ محمدعلي الحرز كتابٌ جيّدٌ، بما تحمله من أهمية تاريخية، وفوائد ميدانية، ومعرفة هذا الطريق بحدوده ومعالمه التي ينبغي الاطلاع عليها.

ولا يخفى أنّ هذا الطريق في القديم كان طريقاً لحجاج الإيرانيين.

* * *

جاء في مقدمة البحث :

«طالما راودتني فكرة التطرّق لموضوع طريق الحج الأحسائي من الناحية التاريخية؛ والتعريف بالعلاقة الكبيرة بين الأحساء وبلاد الحجاز، وأهمّ الطرق التي يسلكونها في المسير لأداء فريضة الحج، والعقبات التي تواجه الحاج الأحسائي من صعوبات ومعوِّقات، حاله حال الكثير من الحجاج في مختلف المنافذ المتجهة إلى مكة المكرمة، نظراً للتغافل الكبير من المهتمّين بتاريخ الحج وطرق الحاج، وذلك لصعوبة البحث وندرة المصادر التي تناولت معالم هذه الطرق.

لذا اكتفى معظم الباحثين بتناول الطرق المشهورة والمعروفة؛ مثل الشامي والعراقي والمصري واليمني والعماني وغيرها، دون تجاوز هذه العتبة خشيةً من وعورة الطريق

والبحـث في هذه النقطـة المعتمة...».

الكلمات المفتاحية :

رحلة داود السـعدي سـنة ١٢٨٨ هـ، طريق الحاج في الشـعر الأحسائي، الطريق غير المبـاشر ،الطـرق من الأحسـاء إلى اليمامة، الطرق مـن اليمامة إلى مكة المكرمـة، من محطّات الحـاجّ إلى الحرمين، العقير الواجهة البحرية للأحسـاء . . .

* * *

الطريق الثالث: رحلة داود السعدي سنة ١٢٨٨ هـ

الشـيخ داود السـعدي كان مفتـي بغـداد، ومرافـق الحملـة التـي قادهـا أحمـد مدحت باشـا كمفـتٍ للعسـكر،[1] تـولّى منصب الإفتـاء في الحاميـة العثمانية بالأحسـاء، فذهب إلى الحـج ودوّن المناطـق التي مـرَّ بها.

رحلته إلى الحج:

وهـي رحلـة داود السـعدي، المعـروف بأفنـدي البكباشي، التـي طوى مراحلها في شـهر ذي القعـدة من سـنة ١٢٨٨ هـ (١٨٧٢ م)، وهذه الرسـالة طبعت في مطبعـة الزوراء أو مطبعة الحكومـة سـنة ١٢٨٩ هـ،[2] ثم أعيـد طبعها في لغة العرب، وقد سـافر مع القائد نافذ باشـا إلى مكـة المكرمة، ثـم إلى المدينة المنـورة، ومنهـا إلى الكويت ومن الكويـت إلى البصرة.

---

١ . القريني، د. محمـد بـن موسـى، الإدارة العثمانيـة في متصـرفية الأحسـاء ١٢٨٨ـ١٣٣١هـ / ١٨٧١ـ١٩١٣م، دارة الملـك عبـد العزيـز: الريـاض، الطبعـة الأولى: ١٤٢٦هـ: ٩٣.

٢ . مجلـة لغـة العـرب، الجزء الأول من السـنة الثالثة عن رجب وشـعبان، سـنة ١٣٣١هـ، تمـوز ١٩١٣، مطبعـة الآداب: بغـداد: ١١٧، كـما نـشر المقـال نفسـه نقـلاً عن مجلـة (لغة العـرب) في مجلـة العرب: السـنة الثامنة والعـشرون، جمـادى الأولى، وجمادى الآخـرة، ١٤١٤هـ، الجـزء ١١، ١٢: ٧٦٢.

خصائص رحلته إلى الحج:

تعدّ أهمّ وثيقة تاريخية عن طريق الحاج الأحسائي إلى الديار المقدسة، لما تميزت به هذه الرحلة من خصائص جعلتها غاية في الأهمية، على سائر من كتب أو أشار إلى طريق الحاج الأحسائي ومنازل الحاج من الأحساء إلى مكة المكرمة. ولعلّ أهمّ هذه الخصائص ما يلي:

* كونها الرسالة الوحيدة والمستقلة التي كتبت بغرض تبيين طريق الحاج الأحسائي إلى الديار المقدسة، وقد عنونها بـ: «الطريق من الأحساء إلى الرياض فمكة المكرمة»، وهو الهدف الذي نشدناه من بحثنا هذا بكلّ صراحة ووضوح، مما يسّر علينا المهمة والغاية، وكفانا الكثير من العناء والتعب.

* إنه ومن خلال رحلته العباديّة عبّر بما رآه من مشاهداته لـ ل منطقة، مع الإشارة إلى بعض الأحداث التي وقعت له أثناء الطريق، والتي هي عقبات يعاني منها كلّ حاجّ يعبر على طريق الحاجّ الأحسائي، مما يعطينا صورة حيّة عن مشاهدات الحاجّ ومعاناته في طريقه إلى مكة المكرمة.

* أشار في رحلته إلى جميع المناطق التي توقّفت عندها الرحلة وسارت عبرها، وهي نفس الجادة التي يسلكها الحُجّاج إلى بيت الله الحرام، من حاج الأحساء في تلك الحقبة، مما يعرفنا بدقة عن معالم الطريق، والمناطق التي يعبر من خلالها الحجاج على طريق الحاج الأحسائي، وهي معلومات غاية في الأهمية.

* تضمّنت الرحلة الكثير من المصطلحات العثمانية والألقاب التي كانت مستخدمة في تلك الفترة، وهذا أيضاً يشكّل جزءًا لافتاً من تاريخ العثمانيين إبّان حكمهم ووجودهم في الأحساء، وما أحدثوه تباعاً من مصطلحات حاولت جاهداً توضيح معناها.

* إنَّ أبرز مميزات السعدي في رحلته على طريق الحاج الأحسائي أنه دوّن الفترة الزمنية التي يستغرقها الحاج في التنقل من منطقة إلى أخرى، مما يعطينا تصوّراً شبه واقعي عن

الفـترة الزمنية التي تسـتغرقها قوافل الحاجّ الأحسـائية للوصول إلى بيـت الله الحرام.

وسـوف أورد كامـل الرحلـة مـع التعليـق والتهميـش في موضـع الحاجـة، ليعيـش القـارئ أجـواء الرحلـة مع السـعدي، مع ما يسـتملكه من مشـاعر جيّاشـة كان يعيشـها أثنـاء الرحلة.

ملاحظات على الرحلة:

مـن الملاحـظ لمـن قـرأ رحلـة السـعدي رغـم مـا فيهـا مـن معلومـات قيمة سـواء في الجانـب التاريخـي أو عـلى نطـاق طريـق الحـجّ الأحسـائي، أنّ الرحلـة تخلّلهـا الكثير من الأخطـاء في المسـميات للمناطـق التـي قـام بذكرهـا أثنـاء الرحلة.

ولعـلّ السـبب في ذلك يرجـع لصعوبة ألفاظها مـن جهة ولكونها غـير عربية من جهة أخـرى، ممـا تسـبّب في وجود تصحيـف كثير لأسـماء الأماكن والمعـالم، بل قـد تلاحظ أنَّ بعـض الأسـماء لم نجـد لهـا ذكـراً في المعاجـم الجغرافيـة المختصـة بتلـك المناطق ممـا يؤكّد وجـود لبس في تلك الأسـماء.

نصّ الرحلة:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرادُّكَ إِلى مَعادٍ﴾.[1]

«هـو أنـه لمّـا كان طريق الريـاض والدرعيّـة أسـهل طـرق السـواحل والبحرين مع الأحسـاء والقطيـف ولنجة[2] وبندر بوشـهر[3] وغالب بـلاد ايران الواقعة بتلـك الأطراف

١ . سورة القصص: الآية رقم ٨٥.

٢ . لنجـة: مدينـة على سـاحل الخليج [الفـارسي] وهي عاصمـة مقاطعة لنجـة في إيران جـزء إداري من محافظـة هرمـزگان. تمتـد تلك المنطقة على السـواحل إلى الشـرق من بنـدر عباس، حيث اسـتوطنت هنـاك قبائـل عربية من عصور سـحيقة قبـل الإسـلام. ويكيبيديا.

٣ . مدينـة بوشـهر: عاصمـة محافظة بوشـهر في جنوب إيران على السـاحل الشرقي للخليـج [الفارسي]. تبعد عـن مدينة الأهواز مسـافة ٤٣٤ كـم إلى الجنوب.

والكويت والبصرة إلى الحرمين المحترمين.[1]

لكن في هذه المدة يتعنّي الحجاج فوق طاقتهم في الطرق البعيدة، بسبب تعسير المسري من هذه الطرق المذكورة، فلمَّا أراد اللهُ الخيرَ لعبادِهِ، القاصدين أشرف بلاده، هيأ لهم أسباب التيسير في مسلك هذا الطريق، وجعل لهم التوفيق خير رفيق، وذلك بما منَّ به من النصر الأبدي والتأييد السرمدي لحضرة مولانا الوزير الأفخم،[2] والمشير المفخّم،[3] صاحب الدولة،[4] وحامي الملة،[5] أفندينا،[6] السيد أحمد مدحت

١ . في كلامه إشارة مهمة بأنّ طريق الحجّ الأحسائي كانت تسير عليه قوافل الحج القادمة من البصرة بالعراق ولنجة وبندر بوشهر، وغالب إيران الواقعة بتلك الأطراف والكويت.

٢ . هو لقب يطلق على السلاطين الوزراء وكبار رجال الدولة والأولياء الصالحين. بركات، د. مصطفى، الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب: القاهرة، الطبعة الأولى: ٢٠٠٠م: ٢٠٩.

٣ . كان لقباً من ألقاب الصدور العظام قديماً، ثم استخدم بعد عهد التنظيمات لقباً عسكرياً كما هو مستخدم الآن في العالم العربي، وهو أعلى رتبة عسكرية. صابان، د. سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة: د. محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية: الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م: ١٠٩.

٤ . صاحب: من ألقاب الوزراء، وقد بدأ استخدامه منذ عصر بني بويه، ثم استخدمه العثمانيون لوزرائهم، وقد ألحقوها بكلمات أخرى مثل: «صاحب السيف والقلم»، و«صاحب الخيرات»، و«صاحب العز والتمكين» وغيرها من الألقاب التي منها: «صاحب الدولة». الألقاب والوظائف العثمانية، مصدر سابق: ٨٦.

٥ . أي حامي الدين.

٦ . أفندي: كلمة رومية ـ بيزنطية، انتقلت إلى اللغة التركية منذ عهد السلاجقة، وقد بدأ استعمالها في العقد الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي لدى العثمانيين للدلالة على الإنسان المتعلم والمثقف، حيث حلت محل كلمة جلبي المماثلة لها باللغة التركية، وأصبحت لقباً تخاطب به فئة معينة من العثمانيين هم العلماء، ثم أصبحت اللقب الرسمي للأمراء بعد أواسط القرن التاسع عشر الميلادي. المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مصدر سابق: ٣٤.

باشـا،[1] جعـل التوفيق لـه غطاءً وفراشـاً، بأن فتح على يديـه القطعة النجديـة،[2] ومنّ عليه باسـتجلاب أدعيـة كافة الملـة المحمدية، لدوام السـلطنة السـنية.[3]

و كنـت حينئـذٍ متقلداً إفتـاء تلـك الفرقة المنصـورة،[4] الكاسـرة شوكـة أولي البغي من العشـائر المخـذولة المقهورة بمعية قومندانها،[5] المشـيد بآرائه السـديدة أسـاس أركان صاحب السـعادة، و الحائز لكل سـجية مسـتجادة، محمد نافـذ باشـا الفريق،[6] سـلك الله بـه إلى الخير سـواء الطريق، فوقع استحسـان المشـار إليه، أسـبغ الله نعمه علينـا وعليه، أن أسـير حجّاج ذلـك الطريق إلى الحرمين المحترمين، وأكون واسـطة لجلـب أدعيتهم لوقاية

---

١ . أحمـد مدحـت باشـا: (١٢٣٨ـ١٣٠١هـ)، سـياسي عثـماني وإصلاحـي ذو توجه مـوالي للغرب تولى مناصـب عديـدة منهـا الصدارة العظمـى (رئاسـة الـوزراء) و وزير العدل وخـدم قبلها والياً لولاية بغـداد وولايـة دمشـق وولاية سـالونيك، اسـتولى عـلى الأحسـاء في جمـادى الآخرة سـنة ١٢٨٨هـ، عـزل عـن ولايـة بغـداد، آخر حياتـه اعتقـل وحكم عليـه بالإعـدام فحبس في قلعـة الطائـف وفيها قتـل. الـزركلي، خير الدين، الأعـلام، دار العلم للملايين: بيروت، الطبعة الخامسـة عـشر: ٢٠٠٢م، ٧ : ١٩٥.

٢ . إشارة إلى كونه استولى على الأحساء في جمادى الآخرة سنة ١٢٨٨هـ.

٣ . أطلـق عـلى الدولـة التركيـة عـدة مسـميات عـبر التاريـخ منهـا: الدولـة العليـة، ثـم أطلقـوا عليهـا السـلطنة السـنية، كـما أُطلـق عليهـا بعـد اتسـاع ممتلكاتهـا في اوروبـا وآسـيا وإفريقيـا الإمبراطوريـة العثمانيـة. وعرفـت أيضـاً باسـم الدولـة العثمانيـة.

٤ . إشارة إلى توليه منصب الإفتاء في الحامية العثمانية بالأحساء.

٥ . كومنـدان: قائـد ميـدان، وهـي كلمـة عربيـة دخلـت إلى اللغـة الأنكليزيـة فأصبحت قومنديـان، ثم عـادت إلى اللغـة التركيـة بلفـظ قومنـدان، وبعدها اسـتعملها العرب بمعنـى قائد عسـكري، أو قائد شرطي.

٦ . محمـد نافـذ باشـا: الفريق محمـد نافـذ باشـا (١٨٧١ـ١٨٧٢م)، هو القائـد الذي وكلـه أحمد مدحت باشـا للاسـتيلاء عـلى الأحسـاء في شـهر ربيـع الآخـر سـنة ١٢٨٨هـ، كـما نصبه متصـرّفاً لسـنجق نجـد (الأحسـاء)، بالإضافـة إلى عملـه كقائد للقوات العسـكرية. الأوضـاع السياسـية والاقتصادية والاجتماعيـة في إقليـم الأحسـاء، مصدر سـابق: ١٠٦.

دوام دولـة خليفة رسـول الثقلين.[1]

بعـد أن أمر بنشر العلم السـلطاني، واللواء الخاقاني،[2] وضرب خيمته سـعود،[3] ...،[4] المأخـوذة منه قهراً، والمخرج منها جبراً بواسـطة العسـاكر السـلطانية، والجنود الخاقانية، وجعـل الدليـل والأمـير،[5] لهذه السـائرة، الموفقة لخـير الدنيـا والآخرة، تحـت نظارتي،[6] فامتثلـت مـا أمره الفريـق،[7] وعزمت متوكلاً على مـن شرف البيت العتيـق، وأحببت أن

---

١ . يقصـد السـلطان العثـماني في تركيـا، وهـي من الألقـاب التي اسـتعملها العثمانيون وهي مـدار نقاش في مشروعيتهـا، وقـد اسـتخدمت ألقـاب مشـابهة لهـا في مصـدر مثـل «الخليفـة الأكـرم» و «خليفـة رسـول رب العالمـين» وغيره من المسـميات الموحيـة بالرفعة للسـلطان العثماني. الألقـاب والوظائف العثمانية:٢٨.

٢ . الخاقـانْ: تعنـي السـلطان الأعظـم وملـك الملـوك، وكان لقبـاً مسـتعملاً في الصـين، والمغـول، وقد دخـل عـلى الأتـراك، فكان أول مـن لقب به السـلطان محمود غزنوي حاكـم إيـران (٦٧٠ـ٧٠٣هـ). الألقـاب والوظائـف العثمانية، مصدر سـابق: ١٩.

٣ . الأمـير سـعود بـن فيصـل بـن تركـي آل سـعود (١٢٤٩ـ١٢٩١هــ)، اسـتولى عـلى الأحسـاء سـنة ١٢٨٧هــ، وعـلى الريـاض ١٢٨٨هــ وخلـع أخاه عبـد الله بـن فيصل من الحكـم وبويـع بالإمامة، لكـن سـيطرته عـلى الأحسـاء لم تـدم طويلاً فقـد دخلتهـا القـوات التركية سـنة ١٢٨٨هـ.

٤ . ذكـر كلامـاً غـير مناسـب، حذفنـاه لعـدم مناسـبته سـير البحـث ومنهجـه، كـما أنـه لا يضيـف في الرحلـة شـيئاً جديداً.

٥ . هنـا إشـارة مهمـة في كونه نصب «أمير الحـاج» لهذه القافلـة المتجهة إلى الحج، ويعنـي الأمير المنتخب أو المـشرف المعـين عـلى قافلـة الحـج المتوجهـة إلى مكـة المكرمـة. المعجـم الموسـوعي للمصطلحات العثمانيـة التاريخية، مصدر سـابق: ٣٧.

٦ . النظـارة: تعنـي الإدارة والـوزارة، واسـم الفاعـل منـه ناظـر، وقـد بدأ اسـتخدامه في عهد السـلطان محمـود الثـاني (١٨٠٨ـ١٨٣٩م) للمؤسسـات الحكوميـة التـي تـشرف عـلى قطاعـات معينـة، وهي تعنـي بالمفهـوم المعـاصر الـوزارة في أغلـب الأحيـان. المعجـم الموسـوعي للمصطلحـات العثمانيـة التاريخيـه:٢٢٢.

٧ . الْفَرِيـقُ الأَوَّلُ(عسـك): رتْبـةٌ عَسْـكرِيَّةٌ أعْـلَى مِـنْ رُتْبَـةِ اللِّـوَاءِ أوِ الْجِنِـرَالِ وَدُونَ الْمُـشِيرِ. الْفَرِيقُ الثَّـانِي. معجـم المغني.

أذكـر رحلة المســرى،[1] وأَحْمَدُ مـن بعبـدِهِ أَسْرَى، وأُبدِي غاية التشـكر، والدعاء لحضرة أفندينـا المشـار إليـه، أعنـي والي ولايـة بغـداد، والكاشـف الغمة عـن هؤلاء العبـاد، إذ هو السـبب الأقـوى، والواسـطة العظمى إلى هذا المسـير، المقرون بالتيسـير فأقول وبالله الاسـتعانة، ومنه العون والإعانة مدة المســرى تاريخ سـنة ١٢٨٨ هـ.

الساعة: ذو القعدة:

٠١ـ٥: تحرّكنـا مـن الأحسـاء إلى،[2] (قلعة صاهـود)،[3] بعزيمة صاحـب الرفعة رجب أفنـدي البيكبـاشي،[4] وكان نهار الثلاثاء وهي قلعة مشـيدة البناء، وفيها عدد من العسـاكر المنصورة.

يـوم الأربعـاء منهـا إلى (عـين نجـم)،[5] وهـي العين الحـارّة من القـدرة الإلهيـة وأقمنا

---

١ . مَسري: مـكان السَّرْي، والسَّرْي هـو المُضيّ والذَّهاب أو السَّـيْر، يقال أَسْرَتِ القافِلَـةُ لَيْلاً كخَرَجَتْ، سَـارَتْ ﴿**سُـبْحانَ الَّذِى أَسْرى بِعَبْـدِهِ لَيْـلاً مِـنَ الْمَسْـجِدِ الْحَرامِ إلى الْمَسْـجِدِ الأَقْصَى**﴾ سـورة الإسراء: ١.

٢ . ورود (إلى) خطـأ ولعلـه ممـن نقـل مـن المخطوطـة والصحيـح (مـن) لأن قلعـة صاهـود هـي مقـر الحاميـة العثمانيـة ومنهـا انطلاقتهم.

٣ . وهـو مـا يعـرف في الأحسـاء بقـصر صاهـود: وقـد بنـي هـذا القـصر عـلى هضبـة مرتفعـة في الجهة الغربيـة خـارج مدينـة المـبرز في الفترة الأولى من حكـم بني خالد، أواخـر القرن ١١ هــ. أي قبل أكثر مـن ثلاثمائـة عـام. وقـد كان الهدف من إنشـائه حمايـة مدينة المـبرز ضد الغـارات التي يقوم بهـا البدو عـلى تلـك المنطقـة. وهو يقع اليـوم في حي الحـزم بمدينة المـبرز، مجلة الواحـة، العدد٦٠ ـ السـنة١٦ـ شـتاء ٢٠١٠م، مقـال قصور من الأحسـاء، م. عبدالمحسـن البقشي: ٣٧.

٤ . البيكبـاشي: لفـظ فـارسي بمعنـى البينبـاشي مركب مـن بيكوبـاش، وهو رئيـس الألف، وهـي رتبة عسـكرية عثمانيـة اسـتعملت في الجيـوش العربيـة، وما زالـت تسـتخدم في تركيا الآن. دهمـان، محمد أحمـد، معجـم الألفاظ التاريخية في العصــر المملوكـي، دار الفكر: دمشـق، ط. ١٤١٠ هــ. ١٩٩٠م: ٤١. المعجـم الموسـوعي للمصطلحـات العثمانيـة التاريخية، مصدر سـابق: ٦٦.

٥ . عـين النجـم هـي إحـدي عيون الأحسـاء المشـهورة بميـاه الـ بريـت التي تسـتخدم في العـلاج، تقع

بهـا يـوم الخميس، ويـوم الجمعة تحت الخيمـة المذكورة ليتكامـل الحاج، وقافلـة الرياض، وظهـرت العسـاكر المنصـورة بأمرائهـا الفخام بمعيـة حضـرة الفريق الأفخـم،[1] وأكابر وجـوه البلـدة، وقـرأت دعاء حافـلاً في دوام السـلطنة السـنية، وتأييـد وزرائهـا وأمرائها ووكلائهـا، وكافة عسـاكرها المنصـورة، وللحجّـاج، والغزاة، والمسـافرين.

٠٨ـ٩: يـوم السـبت تحرّكنـا مـن (عـين نجـم) بمقدار مئـة مـن الحجّـاج وقافلة نجد ونزلنـا (غـار الشـيوخ)،[2] خاليـاً عن [مـن] المرعـى والماء.

٠٨ـ١٠: يـوم الأحـد منهـا إلى (شـعاب الفـروك)،[3] مرعـى لا سـقيا [فيـه] خالية من البدوان.

٠٦ـ١١: يـوم الاثنـين منهـا إلى (نكـيرات الحاج)،[4] [وفيهـا حيوانات] رعياً لا سـقياً،

غرب مدينة الهفوف وقد وصفها الشاعر بقوله:

يا عين نجم أفاقت ابار الحسا بحرارة وبخار ماء يصعدُ

يقـال: إن أول إعـمار لهـا كان في سـنة ١١٥٥هـ تقريباً، يقـول الباحث في الآثـار خالد الفريـدة: إنّ الموقع يعـدّ أحـد العيون الشـهيرة المنسـوبة إلى نجم بن عبـد الله الخالدي أحد شـيوخ بني خالـد والذي كان أمـيراً للحـج عام ١١١٧هـ، وتقع في الجهة الشـمالية من جبـل أبو غنيمة الواقع شـمال مدينة الهفوف، وكانـت في السـابق البوابـة الغربية التي يحط فيها المسـافرون من البـدو والحجاج من الأحسـاء ودول الخليـج [الفـارسي] وسـورية والهنـد رحالهـم كنقطة التقـاء أو توديـع أو محطـه اسـتراحة. ويكيبيديا الإلكترونية.

١ . يقصد رجب أفندي البيكباشي، والذي هو أمير الحاج في هذه الرحلة.

٢ . غـار الشـيوخ: غـار يعـرف بهـذا الاسـم يقع في الشـمال الغـربي مـن جبـل أبوغنيمة على مسـافة ٢٥ ميلاً .

٣ . (الفـروك) صوابـه (الفـروق) بالقـاف، وانظـر عنه (قسـم المنطقـة الشـرقية) من (المعجـم الجغرافي للبـلاد العربية السـعودية).

٤ . والصحيـح نقـيرات الحـاج، وتعـرف بــ«النقـرة»: يُطلق كثيرون اسـم (النقـرة) على ما يسـمى الآن (وادي الميـاه)، وهـي تلـك الأرض المنخفضـة الممتـدة مـن الجنـوب إلى الشـمال، تبـدأ جنوبـاً مـن (عريعـرة) و (حمـراء جـودة)، وتنتهي شـمالاً بالقـرب مـن (النعيرية)، ويعـرف حمد الجـاسر (النقرة)

وفيهـا من البـدوان من عشـائر المـرّة والعجمان.

١٠ـ١٢: يـوم الثلاثـاء منهـا إلى (بـدالى)،[١] [وفيهـا حيوانـات] رعياً لا سـقياً وكذلك منزولـة (أي فيهـا عربان).

٠٦ـ١٣: يوم الأربعاء (أبي جفان)،[٢] كثيرة الآبار، والمرعى خالية من البدوان.

٠٧ـ١٤: يـوم الخميـس منهـا إلى (أبي النـاس)،[٣] عـلى سـيل عظيـم، وغديـر جسـيم وأُمْطِرنـا فيهـا ثـلاث سـاعات ليلاً.

٠٣ـ١٥: يوم الجمعة منه نزلنا بطرف الوادي لكثرة انحدار السيول عليه.

٠٧ـ١٦: يوم السبت منه إلى (السّليّ)،[٤] على سيل عظيم، جعل الله كلّ نبت حياً!!

في كتابـه (المنطقةالشرقيـة) بقولـه: «نقرة بني خالـد: النقـرة الأرض المنخفضة عما حولهـا، وبنو خالد القبيلـة التـي كانـت مسـيطرة على بـلاد الأحسـاء وما حولهـا في القـرن الحادي عـشر وما بعـده وهم عـلى مـا اتضـح لي خليط مـن القبائـل، وأكثرهم مـن بقايـا عبدالقيـس، ...» انتهى، ويسـكنها بعض العجـمان. انظـر: الطريـق إلى الرياض، مصدر سـابق: ١٧٢.

١. بدالى: لم أعرف هذا وقد وصفه بأنه موضع لا ماء فيه، وقد يكون الاسم محرفاً.

٢. أبـو جفـان: منهـل قديم مـن مناهـل (العرمة) الجنوبيـة، يرده المسـافرون عـلى الإبل بـين (الرياض) و(الأحسـاء)، وهـو إلى (الريـاض) أقـرب وآبـار (أبـو جفـان)، وعـدد آبـاره الظاهـرة الآن أربـع وعشـرون بئراً أشـهرها تسـمى (القمـوص) وهي موالية للقصـر الذي بنـاه الملك عبـد العزيز بعد دخولـه (الأحسـاء) عـلى الشَّـفِير الشرقي للـوادي. ويبعد (أبـو جفان) عـن (الرياض) مئـة كم جهة الشـرق. انظـر: الطريق إلى الريـاض، مصدر سـابق: ١٠٣.

٣. أبي النـاس: هـو شـعب ينحـدر مـن سلسـلة الجبـال الواقعـة شرق الريـاض المعروفـة قديـماً باسـم (خنزيـر)، قـال صاحـب عاليـة نجـد عـن (منطقـة الخنزيـر): «جبـل أحمـر كبـير يقع صـوب مطلع الشـمس، مـن مـاء (الصخـة)، وجنـوب جبـل الضينية، فهـو جنوب مـن بلـدة الخـاصرة». المعجم الجغـرافي للبـلاد العربيـة السـعودية عاليـة نجـد، مصـدر سـابق: ٤٧٠.

٤. السـلي: ذكـره الهمـداني (ت٣٦٠هـ)، في كتابه صفـة جزيرة العرب بقوله: «وأما السـلي فـوادٍ عظيم، وهـو الـذي ذكره الأعـشي كذلك بقوله: عجزاء ترزق بالسـلي عيالهـا»، وكان السـعدي يتوافق مع ما كتبـه عنه الهمـداني في القرن الرابـع الهجري، ... صفـة جزيرة العرب، مصدر سـابق: ٢٤٩.

٠٥ـ١٧ : يوم الأحد منه إلى (الرياض)،[١]

ونزلنا (حوطة عبد الله الفيصل).[٢] فركزنا (البيرغ)،[٣] السلطاني ونصبنا الخيمة المذكورة، واجتمع الأهالي لدينا، لأجل السلام إلّا الشيخ النجدي عبد اللطيف الوهابي،[٤] وعزمنا،[٥] محمد الفيصل،[٦] على وليمة معظمة، فأبدينا له النصائح الدينية

١ . الرياض: تقوم مدينة الرياض على موقع بلدة قديمة تسمى «حجر اليمامة»، وكانت حاضرة قبيلتي طسم وجديس، حتى هجرت وخُربت على أثر حملة أحد ملوك اليمن... ثُم عمرت حجر على أيدي جماعة من بني حنيفة في الجاهلية، فاستعادت ازدهارها، واتّخذت سوقاً يعقد في العاشر من شهر محرم إلى نهايته من كل عام... وبقيت حجر قاعدة لليمامة في القرن الثامن الهجري حيث زارها ابن بطوطة. وفي القرن العاشر الهجري، تفرقت حجر إلى قرى صغيرة، وبدأ اسم «حجر» يختفي تدريجياً، حتى أطلق اسم «الرياض» على المنطقة، على هذه القرى المتفرقة،... وانتهى الصراع في ١١٨٧ هـ بانضمام المدينة للدولة السعودية. راجع: معجم اليمامة، عبد الله بن محمد بن خميس، دار اليمامة: الرياض، الطبعة الأولى: ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م: ٤٩٠. الوليعي، عبدالله بن ناصر، وآخرون، منطقةالرياض دراسة تاريخية وجغرافية واجتماعية، الناشر إمارة منطقة الرياض: الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩م، ٣ : ٩٥، والصفحات التي تليها.

٢ . حوطة عبدالله الفيصل كانت تقع خارج سور الرياض في الجهة الجنوبية ودخلت فى عمران المدينة.

٣ . يقال: «بيرق» وهي كلمة تركية يراد بها العَلَم، الراية، لواء. المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، د. محمود عامر، مجلة دراسات تاريخية، العددان (١١٧ـ١١٨)، كانون الثاني، حزيران لعام ٢٠١٢م: ٣٧٠.

٤ . يعني به الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (١٢٢٥ـ١٢٩٣هـ) وهو من أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب آل مشرف التميمي، درس على والده الشيخ عبد الرحمن بن حسن، والشيخ محمد بن محمود بن محمد الجزائري، والشيخ مصطفى الأزهري، من مؤلفاته: تأسيس التقديس في الرد على داود بن جرجيس، مقدمة لشرح نونية ابن القيم، وغيرها. انظر: آل الشيخ، عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن عبد الله، مشاهير علماء نجد وغيرهم، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر: الرياض، الطبعة الثانية: ١٣٩٤هـ: ٩٤.

٥ . دعانا على مأدبة.

٦ . هو الأمير محمد بن فيصل بن تركي بن عبد الله آل سعود (١٢٤٨ـ١٣١١هـ)، ولد بالرياض ونشأ

والمواعظ المحمدية، وحرّضناه على إظهار الطاعة والانقياد لحضرة الدولة العلية،[1] وامتثال أوامر الحضرة المشيرية.[2]

وكان حينئذٍ عبد الله الفيصل،[3] بالخارج عن الرياض بمسافة ثماني ساعات، فسيّرت له ساعياً، وحررتُ له كتاباً فيه من النصائح والترغيب في حسن الخدمات المرضية، لجانب السلطنة السنية، والانقياد للحضرة الفريقية، فأجابني بالسمع والطاعة.

وأما (الرياض) فبلدة فيها نحو ألف بيت، وفيها بساتين كثيرة، وتخمين (الرياض) و(الدرعية)،[4] و(منفوحة)،[5] وباقي قرى (العارض)،[6] لو اجتمعت وارداتها تقرب

بها، حارب مع أخيه الأمير عبد الله بن فيصل ضد أخيه الأمير سعود بن فيصل وأرسله أخوه الأمير عبد الله بن فيصل ضد العجمان عام ١٢٨٧هـ، وبعد وفاة أبيه الإمام فيصل بن تركي ادان بالبيعة لأخيه الأمير عبد الله بن فيصل واتبعه في حكمه، وتوفي في الرياض عام ١٣١١هـ.

١ . «الدولة العلية» من أسماء الدولة العثمانية، وهنا يشير لانقياد وتبعية الدولة السعودية لهم، ... ومعناه أن يدفع للدولة العثمانية مقداراً من المال دليلاً على الطاعة، ويتصرف في الداخل بكلّ حرّية، وهذا نوع من الاستقلال الداخلي. انظر: أبوعلية، الدكتور عبد الفتاح حسن، تاريخ الدولة السعودية الثانية ١٢٨٦ـ١٣٠٩هـ/ ١٨٤٠ـ١٨٩١م، دار المريخ: الرياض، الطبعة الرابعة: ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م: بتصرف: ١٨٧.

٢ . المشير: لقب من ألقاب الصدور العظام قديماً، ثم استخدم بعد عهد التنظيمات لقباً عسكرياً، كما هو مستخدم الآن في العالم العربي، وهو أعلى رتبة عسكرية. المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مصدر سابق: ٢٠٨.

٣ . هو الأمير عبد الله بن فيصل بن تركي آل سعود.

٤ . الدرعية: تقع في إقليم عارض اليمامة التاريخي بجنوبي هضبة نجد، تبعد الرياض حوالي ٢٠ كلم، يحدها من الشمال محافظة حريملاء، ومن الجنوب محافظة ضرما، ومدينة الرياض، ومن الشرق مدينة الرياض، ومن الغرب حريملاء ومحافظة ضرما.

٥ . منفوحة: قرية قديمة من قرى وادي حنيفة، كانت ملاصقة للرياض.

٦ . العارض: أحد الأقاليم التاريخية التي كانت تتألف منها منطقة نجد. وقد كان اسم العارض (أو عارض اليمامة) يطلق قديماً على جبل طويق الممتد من حدود إقليم القصيم الجنوبية شمالاً وحتى مشارف وادي الدواسر جنوباً، وكان يسمّى أيضاً «العروض»، وهي [أي اليمامة] ... والعروض

مـن واردات الأحسـاء والقطيـف، وأهاليها أكثرهـم فى غاية الغلاء والمحنـة ـ والعياذ بالله ـ وأكثـر قُوتهم (اليرابيـع)،[1] والجراد وما أشـبههما.

١٨ـ٠٠: وأقمنا بالرياض يوم الاثنين بضيافة المذكور محمد الفيصل.

١٩ـ٠٤: يوم الثلاثاء منها إلى (الدرعية) بلدة عظيمة آثارها وهي خربة كثيرة المياه.

٢٠ـ٠٩: يـوم الأربعـاء منهـا إلى (الحيسـية)،[2] قريـة (بـوادي حنيفة) قليلة البسـاتين، كثـيرة المياه.

٢١ـ٠٨: يوم الخميس أيضاً بوادي حنيفة، ومررنا على بساتين وقرى كثيرة.

٢٢ـ١٠: يـوم الجمعـة منهـا إلى قريب (ثرمـدة)،[3] ببرٍّ أقفـر،[4] موجـود المرعى، عديم الماء اسـمه (العريج).[5]

بفتـح العـين، ويقصـد بالعـارض حاليـاً الريـاض والدرعيـة وضرمـا والعيينـة والجبيلـة وسـدوس والعماريـة ومنفوحـة والمصانـع وعرقـة والحائـر. الطريـق إلى الريـاض، مصـدر سـابق: ١٤٦.

١. يعني الجرابيع وهي ضمن الغذاء لأهل الصحراء، في الجزيرة العربية.

٢. لعلـه يقصـد شـعيب الحيسـية المتفـرع مـن وادي حنيفـة، وهـذا الشـعيب كبـير، ولكـن فيـه بعـض الوعـورة، وفيـه أشـجار طلـح كثـيرة والمـكان قريـب مـن الريـاض وجميـل وقـت الأمطـار.

٣. الصـواب (الثرمـداء): هـي بلـدة مـن بـلاد الوشـم من إقليـم اليمامـة في جزيـرة العرب وهـي تابعة لأمـارة منطقـة الريـاض، وتبعـد عن الريـاض ١٦٠ كم شـمالاً، وهـي بلدة قديمـة تعود إلى العصـر الجاهـلي، قـال في معجـم البلـدان: «ثرمـداء قـال الزهيري مـاء لبنـي سـعد في وادي السـتارين، وقد وردتـه يسـقى منه بالعقـال لقرب قعره، وتقـع بناحية اليمامة، وهـي خير موضع بالوشـم وإليه تنتهي أوديتـه». المجـاز بـين اليمامة والحجـاز، مصدر سـابق: ٥٣.

٤. ألقَفْرُ: الخَلاءُ من الأَرض لا ماءَ فيه ولا ناسَ ولا كَلاً.

٥. والصحيـح (العريـق): والعُرَيْـقُ: تصغـير عـرق، جبـل رمـل (نفـوذ، يبـدأ طرفـه الجنـوبي قريباً من طـرف (شـعر)، ثم يمتد شـمالاً غربيـاً حافـاً بغربي جبل عسـعس، وغربي شـعبا، وينتهي غـرب أبان في ضفـة الرمـة، كما قد يذكـر مضافاً فيقال: عريق الدَّسـم. المعجـم الجغرافي للبلاد العربية السـعودية عالية نجـد، مصدر سـابق: ٩٤٦.

٠٧ـ٢٣: يوم السبت نزلنا (ثرمدة) قرية كثيرة المياه والبساتين والأهالي.

١٠ـ٢٤: يوم الأحد منها إلى (مروتة)،[١] كثيرة الآبار والمرعى خالية غير منزولة.

٠٨ـ٢٥: يوم الاثنين منها إلى (مكسية)،[٢] خالية عن الماء والمرعى وصادفتنا فيها غارة العتيبة يقدمهم عبد العزيز الجامع،[٣] وأرعبوا الحاج فتوسطت بينهم أن سلمهم الحاج مئة وأربعة وأربعين ريالاً، وأعطيتهم بعض المختلفات وكفانا الله تعالى شرهم.

وتعهدت للحاج أنه بحول الله تعالى وبأنفاس الحضرة المشيرية، استرجع لهم المبلغ في مكة المشرفة فكان الأمر كذلك، حيث صادفنا حسين بن جامع شيخ عتيبة في منى، وحصل منه بلوغ المنى، وكان معه اختيارية،[٤] العشيرة المذكورة

---

١ . الصواب (المروت): ويحدد موقعها ابن جنيدل: «وهو يعني (المَرُوّتُ)، وقد تقال بصيغ التأنيث فيقال (المروئة): وهو يطلق على صحراء واسعة تقع في شرق بلدة (القويعية)، وعندما يقال مكان (مرت) لغة هي القفر التي لا نبات فيها، أو قليلة النبات». المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية عالية نجد، مصدر سابق: ١١٧٤.

أما صاحب (المجاز بين اليمامة والحجاز) فيقول: المروت: هي ما بين (جيب غراب) و(المَلحا)، و(البُتر) شمالاً، وما بين المناهل (سامودة)، و(البديعة) و(البعائث). وما حاذاها من أرض قفوف ومرتفعات وحزون، تكون فاصلاً بين (المروت) وبين (الجلة). المجاز بين اليمامة والحجاز، مصدر سابق: ٦٤.

٢ . وهو يعني هنا (مُكَيْنَةُ): ماءٌ قديم مر، تقع شرقاً من صفراء المدّميثيات، وعندها روضة مشهورة تسمى روضة (مكينة)، وقد حفرت فيها آبار ارتوازية وزرعت، وهي لقبيلة الروسان من عتيبة، تابعة لأمارة الدوادمي، تبعد عن مدينة الدوادمي سبعين كيلاً تقريباً، وهي معروفة بهذا الاسم قديماً. المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية عالية نجد، مصدر سابق: ١٢٢٧.

ولعل إشارة (السعدي) أنها «خالية عن الماء والمرعى»، قبل حفر الآبار والزرع، أما سكنى قبيلة عتيبة التي قامت بمهاجمتهم وسرقتهم فهي لوجود مضاربهم في المنطقة منذ القدم مما يجعلها تحت سيطرتهم ونفوذهم.

٣ . ابن جامع شيخ قبيلة الروسان من عتيبة.

٤ . الرجال الأشداء من القبيلة.

فحذرتهم وأنذرتهم من سطوة وكلاء الدولة العلية فسلموا المبلغ المذكور إلى الحجاج المرقومين بعد الدخالة العظمى، وقدّموا لي نكالاً عوض المختلفات سيفاً مصنوعاً من الفضة.

ثم بعد ذلك علم حضرة سيدنا ومولانا الشريف، الحائز لكلّ بحر منيف، صاحب الدولة،[1] عبد الله باشا،[2] ـ وفقه الله تعالى لما يشاء ـ، فحبس حسين المذكور وعزّره على فعلهم بحجّاج بيت الله الحرام، وأن من دخله كان آمناً، ومن قصده لا يضام، فتشكرنا لحضرته النسية، وأثنينا على غيرته المحمدية، وهذه جملة اعترضت هنا وسنعود إلى ما نحن فيه.

٢٦ـ٠٩: يوم الثلاثاء رحلنا من (مكسية) إلى قرية (الدوادمي)،[3] فيها بساتين ومياه.

---

١ . صاحب الدولة: لقب عثماني يطلق على كبار الشخصيات بمعنى رجل الدولة. الألقاب والوظائف العثمانية، مصدر سابق: ٣١٢.

٢ . هو أمير مكة المكرمة الشريف عبد الله بن محمد بن عون تولى إمارة مكة بين عامي (١٢٧٤ـ١٢٩٤هـ) بعد وفاة والده، نال مرتبة الوزارة وعضو مجلس الأحكام العدلية «مجلس والاي أحكام عدلية»، وهو شخصيه علمية عرفت بولعها بالمناظرات العلمية، له اطلاع واسع بالفقه والحديث والأدب، بقي في إمارة مكة أكثر من ١٩ سنة حتى وفاته سنة ١٢٩٤هـ. خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، السيد أحمد زيني دحلان، المطبعة الخيرية: مصر، الطبعة الأولى: ١٣٠٥هـ: ٣٢١. أشراف مكة وأمراؤها في العهد العثماني، إسماعيل حقي جارشلي، ترجمه عن التركية: د. خليل على مراد، الدار العربية للموسوعات: بيروت، الطبعة الأولى: ٢٠٠٣م ـ ١٤٢٤هـ: ٢٢٢.

٣ . الدوادمي: وهي اليوم مدينة تقع غرب منطقة الوشم على بعد ٣٣٣ كم من مدينة الرياض غرباً، وهي تسمى أيضاً قديماً (داورد) و (العويصي)، (العيصان)، وهي تقع في سهل من الأرض، يحفها من الشرق صحراء واسعة سهلة، ومن الشمال والغرب والجنوب يحف بها جمش من الأرض، ونتوءَات صخرية وهضاب. قال الإصفهاني: «العيصان، من حجر على مسيرة خمسة أيام أو ستة، وهي قرية كبيرة فيها معدن لبني نمير»، وقال أيضاً: «وهو يرتب لطريق اليمامة إلى مكة». المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية عالية نجد، مصدر سابق: ٥٣٩.

٠٨ـ٢٧: يوم الأربعاء منها إلى (قرية الشعرة)،[١] آخر قرى نجد وفيها بساتين ومياه.

٠٨ـ٢٨: يوم الخميس منها إلى (ظليع الخوار)،[٢] كثير المرعى، خال من المياه والمنزل.

٠٩ـ٢٩: يوم الجمعة منها إلى (خش النير)،[٣] فيه آبار كثيرة ومرعى.

١٠ـ٣٠: يوم السبت منها إلى (عسيلان)،[٤] كثيرة المرعى بلا ماء وفيه رأينا هلال ذي الحجة الحرام.

الساعة، [شهر] ذو الحجة:

١٠ـ١: يوم الأحد منها إلى (الحميمة)،[٥] خالية من الماء والمرعى والعربان.

---

١. الصواب (الشعراء): وهنا مراده منطقة (الشعراء): وهي بلدة قديمة ذات زرع ومدر، تقع في جانب جبل (ثهلان) من الشرق، في الجنوب الغربي لمدينة الدوادمي، على بعد ٣٥ كم، وسكانها من قبيلة عتيبة. المجاز بين اليمامة والحجاز، مصدر سابق: ٨٩، ٨٢.

٢. ويعني هنا (الخُوَّار): وهو جبل أسود يعترض شمالاً وجنوباً، يقع غرباً شمالياً من الأسودة، وشرقاً من جبل النير، وجنوباً من بلدة البجادية، وهو تابع لإمارة الدوادمي. المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية عالية نجد، مصدر سابق: ٤٨٣.

٣. ومراده هنا (خشيم النير) أي رأس جبل النير، قال صاحب عالية نجد: «وهو جبل أسود كبير، واسع فيه أودية وشعاب، وفيه مسالك وثنايا، وفيه مياه كثيرة». المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية عالية نجد، مصدر سابق: ١٢٧٩.

٤. عُسَيْلان: قرية زراعية صغيرة، تقع في أعلا بلاد الرين، بين عسيلة وبين العليا، وسكانها بعضهم من قحطان، وبعضهم من آل هويمل من بني زين، وعُسَيْلان تبعد من القويعية بـ: (٥٨ كم)، وهي تابعة لأمارة القويعية. المجاز بين اليمامة والحجاز، مصدر سابق: ١١٦.

٥. الحميمة: تصغير حمى، وهي بلاد واسعة ذات مراعٍ جيدة، فيها مياه بادية، وليس فيها جبال، يحف بها من الشمال جبل النير، ومن الجنوب جبل العلم، ومن الشرق نفوذ العويند، ومن الغرب نفوذ رمحة، وهو من الأحمية القديمة، ذكرها ياقوت: بحمى النير، وقال الهمداني: قالوا: حمى ضرية هو حمى كليب، وبين حمى وضرية جبل النير، ويفهم مما قاله الهمداني: أن حمى كليب

١٠ـ٢: يـوم الاثنـين منهـا إلى (الـبرة)،[١] فيهـا مرعـى وآبـار مـاء، وعليهـا مـن عربان عتيبـة، وحمانـا الله منهم.

٠٩ـ٣: يوم الثلاثاء منها إلى (سكوة)، على سيل عظيم ومرعى جسيم.

١٠ـ٤: يوم الأربعاء ومنها إلى (الكموم)،[٢] مرعى فقط.

٠٩ـ٥: يوم الخميس منها إلى (ركبة)،[٣] رعياً فقط.

١١ـ٦: يوم الجمعة أيضاً إلى (ركبة)، رعياً وسقياً.

٠٦ـ٧: يـوم السـبت منها إلى (وادي العقيـق)،[٤] وأحرمنا فيه إلى الحـج مكررين التلبية

هـو الواقـع جنـوب جبل النير. وهـو الذي يسـمى في هذا العهد الحُمـي مصغر، ومياه الحمى في هذا العهـد لقبيلـة عتيبـة، في حدودها الجنوبية مـاءٌ عذب جاهلي قديم، يدعى سُـعدة، وهو ماء السـعدية، كـما أن في حدودهـا الشـمالية ماءٌ جاهـلي قديم يدعى في هذا العهد (الدهاسـية) نسـبة لقبيلة الدُهسـة مـن عتيبـة الـذي يملكونـه في هـذا العهـد، ومكانها بالضبـط، غـرب الدوادمـي، وشرقـاً جنوبياً من عفيـف، وشـمالاً من بلدة الخـاصرة تابعـة لإمارتها. المعجـم الجغرافي للبـلاد العربية السـعودية عالية نجد، مصدر سـابق: ٤٢٠ـ٤٢٢.

١ . الـبَرَّة: هضبـة صغـيرة تبـدو للعيان من بعـد لوقوعها في متـن عبلة مرتفعـة، تقع غرباً من ماء سـجا، والواقـع غـرب بلـدة عفيـف، جنوب طريـق السـيارات المسـفلت المتجه إلى الحجـاز، وبالقـرب منه هضيبـة صغيرة.

٢ . يعنـي (الجَمُـوم): تابعـة لمنطقـه مكة المكرمـة في إقليم تهامـة، تقع في الشـمال الغربي من مكـة المكرمة وتبعـد عـن مكـة مسـافة ٢٥ كـم، ويحدها مـن الشرق جبـال الضيـق وتنتهي بسلسـلة جبـال سرر، كـما يحدهـا شرقـاً قريـة أبي عـروة والبراقـة إلى حدود قريـة أبي شـعيب غرباً، ويوجـد بها آثـار تاريخية وزراعيـة. راجـع معجم معـالم الحجاز، مصـدر سـابق ١ : ٣٧٨.

٣ . ركبـة: هـي صحـراء تـلي وادي العقيـق شرقاً، وهي واسـعة حيـث تبتدئ بـلاد نجد، وقيـل أن ركبة عـلى الطريـق بين مكـة والطائف. معجـم معالم الحجـاز، مصدر سـابق ٤ : ٧٠٥.

٤ . وادي العقيـق: مـن أشـهر أوديـة المدينـة المنـورة، وهـو وادٍ يقع بـين الفـرع والمدينة، يبعد عـن المدينة حـدود (١٠٠كـم) تقريبـاً، حيـث يـأتي طريـق مكـة مـن تلـك الناحيـة، قـال ابـن خميس عـن وادي العقيـق: «يسـتطيل جنـوبي الحـرة وادي العقيـق ممـا يـلي المناقـب ـ الريعـان ـ ووادي قرّان، وشـعاب

والتهليـل والـ ـبير والتحميد.

٠٤ـ٠٠: في اليـوم المذكـور منهـا إلى (عرفات)،[1] نهـاراً و ليلاً، حتى وصلنا السـاعة:٩ مـن الليـل فأقمنا بعرفة يـوم الأحد ويـوم الاثنين، وكان وقوفنا يوم الاثنـين ـ والحمد لله تعـالى ـ ونفرنا منهـا إلى (مزدلفة)،[2] وجمعنـا بها الحصيات.

الحـرة الجنوبيـة، وأم الخـروع، وغيرهـا، ويذهـب مشرقـاً للحـرة، وفيـه الطلـوح العظيمة والسـيال والسـدر والعـشر، فيمر ببلدة عشـيرة، وبمنهـل المحدثة، ومنهل تنضبـه ويفترع الحرة بعدئذ مشـملاً فمغربـاً، يقـول ابـن بليهد عن هـذا العقيق: «في بطـن ذلك الـوادي إذا اتجه شـمالاً عيون وآبـار كثيرة عذبـة، وهـي بالقـرب مـن المدينة، وسـيل ذلـك الـوادي يصـب في وادي الحمـضي، ويصبّـان معاً في البحـر، هـذا الـذي بلغني عـن الثقـات». جزيرة العـرب في كتـاب مختـصر الجغرافيا الكبـير، مصدر سـابق: ٢٣٥، ٢٣٨، المجـاز بـين اليمامة والحجـاز، مصدر سـابق: ٢٣٧.

١ . عرفـات أو عرفـة: هـو جبـل في المملكـة العربيـة السُـعودية يقـع عـلى الطريـق بـين مكـة والطائف، حيـث يبعُـد عـن مكة حـوالي ٢٢كم وعـلى بُعد ١٠كـم من منى و٦كـم من مزدلفـة. تُقام عنـده أهم مناسـك الحـج، والتـي تسـمى بوقفة عرفة وذلـك في يوم التاسـع من شـهر ذي الحجة. وتعـد الوقفة بعرفـة أهم مناسـك الحج كـما قال النبـي ﷺ: «الحَجُّ عَرَفَـةُ». معجم معـالم الحجاز، مصدر سـابق ٦: ١١٣٣.

٢ . مزدلفـة: ثالـث المشـاعر المقدسـة التـي يمـر بها الحجيـج في رحلـة إيمانية يـؤدون فيها مناسـك الحج حيـث تقـع بين مشـعري منـى وعرفـات ويبيت الحجـاج بها بعـد نفرتهم مـن عرفات، ويعود سـبب تسـميتها مزدلفـة وفقـاً للعلـماء والمؤرخـين نظـراً لنـزول الناس بهـا في زلف الليـل، وقيـل أيضاً لأن النـاس يزدلفـون فيهـا إلى الحـرم، كما قيل إنّ السـبب أنّ النـاس يندفعون منهـا زلفة واحـدة أي جميعاً فيـما سـماها الله المشـعر الحـرام وذكرهـا في قولـه: ﴿فـإذا أفضتم مـن عرفات فاذكـروا الله عند المشـعر الحـرام﴾. يحدّهـا مـن الغـرب مـا يلي منى ضفـة وادي مُحـسّر الشرقيـة (وهـو واد صغير يمـر بين منى ومزدلفـة، وهـو مـا يمـر فيه الحـاج عـلى الطريق بـين منـى ومزدلفـة) فيكـون الـوادي فاصـلاً بينها وبـين منـى ويحدهـا من الـشرق ما يلي عرفـات مفيـض المأزمين وهمـا جبـلان بينهما طريق تـؤدي إلى عرفـات فيـما يحدها من الشـمال الجبـل وهو ثبـير النصع، ويقـال له أيضاً جبـل مزدلفة، ومـن مزدلفة عـادة يجمـع الحجـاج الحصيات مـن جبالها المحيطـة بها، لرميهـا على الجمـرات في منـى. معجم معالم الحجـاز، مصدر سـابق ٨: ١٥٨٠.

١٠: ويوم الثلاثاء رجعنا إلى (مِنَى)،[١] ودخلنا (مكة المشرّفة)، فطفنا طواف الإفاضة، ورجعنا إلى (منى)، وأقمنا بها يوم الأربعاء، ويوم الخميس دخلنا مكة المكرمة، ويوم الجمعة نحن بضيافة حضرة سيد الشرفاء المنسوب إلى سلالة المصطفى مولانا أفخم، وعمادنا الأقوم. صاحب الدولة الشريفة عبد الله باشا. أدام الله وجوده وأعلى سعوده.

وأقمنا بمكة شرّفها الله تعالى خمسة عشر يوماً كل ليلة منها نحظى بمنادمة لحضرته السنية، ونتجاذب أبحاث العلم والآداب، مشاهدين منه الالتفات، ومزيد التوجهات، وعند الموادعة أحسن علينا بكركوفراجة،[٢] فاخرين، وأمر لي بحصان من جياد الخليل فاستعفيت عنه، ـ عفا الله عني وعنه ـ، وأخذت الكركوالفراجة، متبركاً بهما.

وآخر يوم الإقامة؛ وهو يوم الجمعة كنتُ بضيافة صاحب السعادة والي جدة الأفخم قاسم باشا،[٣] يسّر الله له من الخير ما يشاء.

٢٨ـ٠٦: يوم السبت تحرّكنا من مكة المشرّفة مودّعين البيت الحرام قاصدين

---

١ . مِنى: أحد مشاعر الحج، وأقربها إلى مكة، وهي وادي تحيط به الجبال، تقع في شرق مكة، على الطريق بين مكة وجبل عرفة، وتبعد عن المسجدالحرام نحو٦كم تقريباً. ويحدها من الشمال الغربي جمرة العقبة، ومن الجنوب الشرقي وادي محسر، ومن الشمال جبل القويس، ومن الجنوب جبل مثبر. ينزله الحاج يوم النحر وهو العاشر من ذي الحجة، ويقيم إلى اليوم الثاني عشر أو الثالث عشر، وبه الجمرات الثلاث التي يرجمها الحاج، ومسجد الخيف، ومسجد الكوثر، ومسجد المرسلات، ومسجد الكبش. معجم معالم الحجاز، مصدر سابق ٨: ١٦٧٠.

٢ . لعلها نوع من أنواع الملابس المستخدمة في ذلك الوقت.

٣ . قاسم باشا الفريق: (١٢٨٨ـ١٢٨٩هـ)، وكان أولاً محافظاً على المدينة، ثم صار محافظاً لجدة، قائماً مقام خورشيد باشا في جدة، ثم وجهت له الولاية بعد عزل خورشيد باشا مع بقائه فريقاً، ولم يعط رتبة الوزارة، وجعل إقامته بجدة، إلى أن تم عزله في شوال سنة ١٢٨٩هـ. دحلان، أحمد بن زيني، تاريخ أشراف الحجاز، تحقيق: د. محمد أمين توفيق، دار الساقي: بيروت، ط. ١، ١٩٩٣م: ٥٧.

زيارة نبينا عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام، فنزلنا (وادي فاطمة)،[1] مع الحاج الشامي، وكانت ليلة السُّرَّاق، فسرقوا خرجي بما كان محتوياً عليه من ملبوساتي وخراجي.

٠٨ـ٢٩: يوم الأحد (خليص)،[2] [فيها] سقياً ورعياً.

الساعة: [شهر] المحرم:

٠١ـ٠٦. يوم الاثنين منها إلى بئر (التّفلة)،[3] [فيها] سقياً ورعياً.

---

١. وادي فاطمة وادٍ كبير من أودية تهامة غر المملكة العربية السعودية حالياً. يجري الوادي من الشرق إلى الغرب، بادئاً من أعالي السراة قرب الطائف لينتهي عند بلدة بحرة بين جدة ومكة، وهو واد خصب وفير الماء، وبه العديد من القرى أهمها الجموم، وقد جاءت التسمية بـ: (وادي فاطمة) في القرن العاشر، وكان يعرف سابقاً منذ العصر الجاهلي بـ: (وادي مر الظهران)، أما الجموم فهي إحدى محافظات منطقة مكة المكرمة في إقليم تهامة، تقع في الشمال الغربي من مكة المكرمة وتبعد عن مكة مسافة ٢٥ كم.

٢. خُلَيْص: وهي محافظة من محافظات منطقة مكة المكرمة، تقع المحافظة في إقليم تهامة على بعد ١٠٠ كم، عن مكة المكرمة بطريق الهجرة، في اتجاه الشمال الشرقي، وهي تشتهر بأوديتها الكبيرة مثل وادي خليص، ووادي غران، ووادي ستارة، ووادي قديد. معجم معالم الحجاز، ٢: ٥٦٦.

٣. بئر التفلة: يقع في محافظة عسفان التي تبعد ٥٠ كم عن جدة، وتقع في الوسط ما بين منطقة الجموم المؤدية إلى مكة المكرمة، والطريق المؤدي الى المدينة المنورة، وأن المسافة التي كان يقطعها الحجاج القادمون إلى عسفان من مكة المكرمة تقدر بـ: ١٨ ساعة بواسطة الجمال، والتي كانت أيضاً طريقاً يمتد بالحجاج إلى المدينة المنورة بعد أدائهم مناسك الحج. يقول البلادي في معجم معالم الحجاز: «بئر عُسفان محكمة الطي واسعة الفوهة يضرب المثل بعذوبة مائها، وقد يهدى في مكة وجدة، يقال: إنّ الرسول ﷺ ورد عسفان فنضبت آباره فأشرف على هذه البئر فتفل فيها. وماؤها غزير لا ينزح أبداً. ومن غريب ما شاهدت أنّ الشركة التي قامت بشق الطريق هناك أرادت أن تقيم آلة ضخ على (التفلة) فلم تشتغل الآلة، فغيروها إلى بئر يقال لها أم الدرج من صنع الأتراك فاشتغلت».

٢ـ٠٧: يوم الثلاثاء منها إلى (كظيمة)،[١] ولحق الحاج (داء أبو الركب)،[٢] فمات منهم نحو عشرين نفراً، ومنهم عبدٌ لي حبشي أخنس، وحمدت الله على السلامة.

٣ـ٠٦: يوم الأربعاء ومنها إلى قرب (رابغ)،[٣] رعياً فقط، واعترى الحاج علة القوليرا (الهيضة)،[٤] ومات سبعة أنفار.

٤ـ٠٦: يوم الخميس منها إلى (رابغ) بلدة معمورة من أساكل البحر، ومات [فيها] عشرة نفر، وعبد لي آخر حبشي.

---

١ . والصواب (القضيمة) وهي بلدة على الساحل بقرب ثول، في مفيض وادي قديد تابعة لإمارة رابغ، ذكرها أيوب صبري باشا في كتاب (مرآة جزيرة العرب) سنة ١٢٨٩ هـ بقوله: «والقوافل المترددة بين مكة والمدينة تواصل سيرها إلى (القضيمة) بعد استراحة قصيرة تمكنها من الاستسقاء من مرحلة (خليص). والقضيمة هي المرحلة الرابعة وبينها وبين خليص إثنتا عشرة ساعة سيراً بالجمال. ومرحلة (القضيمة) بها ثلاثة آبار، إلّا أنّ مياهها مالحة بعض الشيء، وذلك لقربها من البحر، ولما كانت هذه القرية وفيرة الأسماك فقد لقيت استراحتها رواجاً بين المسافرين المحليين المترددين عليها. والقوافل المتحركة من هذا الموضع تصل إلى (رابغ) التي تبعد مسيرة ست عشرة ساعة عن (القضيمة) من ناحية المدينة المنورة».

٢ . داء أبو الركب ويعرف بـ: (حمى الضنك)، هو مرض مداري منقول بالبعوض يحدث بسبب فيروس الضنك. تشمل الأعراض الحمى والصداع وآلام العضلات والمفاصل وطفح جلدي متميز شبيه بطفح الحصبة.

٣ . رابغ: هي إحدى محافظات منطقة مكة المكرمة وهي مدينة قديمة تقع على ساحل البحر الأحمر في إقليم تهامة، تبعد عن جدة حوالي ١٤٠ كم في اتجاه الشمال، ... وكانت قديماً من ديار بني ضمرة من قبيلة كنانة، بها ميقات (الجحفة) وهو ميقات لأهل مصر والشام. معجم معالم الحجاز، مصدر سابق: ٦٥٤.

٤ . يعني الكوليرا (الهيضة): والكوليرا، والتي تعرف أحياناً باسم الكوليرا الآسيوية أو الكوليرا الوبائية، هي من الأمراض المعوية المُعدية التي تُسببها سلالات جرثوم ضمة الكوليرا المنتجة للذيفان المعوي. وتنتقل الجرثومة إلى البشر عن طريق تناول طعام أو شرب مياه ملوثة ببكتيريا ضمة الكوليرا من مرضى كوليرا آخرين.

٠٤ـ٥: يوم الجمعة منها إلى (الوادي)،[1] سقياً من ماء السيل، وانقطعت العلة بحمده تعالى.

٠٩ـ٦: يوم السبت أيضاً في الوادي على ماء السيل.

٠٥ـ٧: يوم الأحد أيضاً في الوادي على ماء السيل.

٠٥ـ٨: يوم الاثنين منه إلى (الريان)،[2] فيه بساتين ومياه.

١٢ـ٩: يوم الثلاثاء نزلنا (الغدير).[3]

٠٦ـ١٠: يوم الأربعاء نزلنا قرب (المدينة المنورة) سقياً ورعياً من السيول.[4]

٠٦ـ١١: يوم الخميس دخلنا المدينة وشاهدنا أنوارها الساطعة المنيرة، وبلغ المسير من مكة المشرّفة إلى المدينة المنورة بمشي الأثقال ٩٧ ساعة، وأقمنا بها عشرة أيام مواظبين لزيارة مرقد سيد الأنام، ومصباح الظلام، ورافعين أكف الدعاء لجانب

---

١ . يقصد وادي الأبواء، ... (مَرِّ الظَّهْرَانِ) من التقاء النخلتين، وينحدر وادي (الْأَبْوَاءِ) إلى البحر جاعلاً أنقاض (وَدَّانَ) على يساره، وثم طريق إلى (هَرْشَى)، ويمر ببلدة (مَسْتُورَةَ) ثم يبحر. ويسمى اليوم (وَادِي الْخُرَيْبَةِ)، غير أن اسم (الْأَبْوَاءِ) معروف لدى المثقفين، وسكانه بنو محمد من بني عمرو، وبنو أيوم من الْبِلَادِيَّةِ من بني عمرو. أنظر: البلادي، عاتق بن غيث، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة للنشر والتوزيع: مكة المكرمة، الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م: ١٥.

٢ . الريان: قرية تتبع محافظة وادي الفرع ... قال البلادي: «الريان: صدر وادي الرع، فيه عيون كثيرة وقرى عامرة منها الفقير قاعدة الفرع اليوم، يبعد جنوب المدينة ١٥٠كم تقريباً، سكانه بنو عمرو بن حرب». معجم معالم الحجاز، مصدر سابق: ٧٤٠.

٣ . ويعني هنا (غدير خم)، بين مكة والمدينة، بينه وبين الجُحفة ميلان، وهي منطقة تقع في صحراء فسيحة على مسير السيول في وادي «الجحفة»، حيث يجري هذا المسيل من الشرق إلى الغرب في الشتاء، ويمرُّ بمنطقة الغدير، ثم ينتهي منه إلى الجحفة ثم منه إلى البحر الأحمر فيصب فيه، ... معجم معالم الحجاز، ٦: ١٢٤٣.

٤ . وهي السيول القريبة من المدينة المنورة، حيث اشتهرت المدينة بكثرة مزارعها ومياهها الكثيرة.

السلطنة السنية، وللحضرة المشيرية، ولجميع إخواننا المسلمين.

٠٦ـ٢٢: يوم الاثنين تحرّكنا من المدينة المنورة متوجهين على طريق القصيم، نزلنا مقابل (جبل أحد)،[١] بقرب سيدنا حمزة على سيل عظيم.

١٠ـ٢٣: يوم الثلاثاء، منه إلى (وادي الحرة)،[٢] سقياً من ماء السيل.

٠٩ـ٢٤: يوم الأربعاء نزلنا (الحناكية)،[٣] قرية من قرى المدينة فيها قلعة مشتملة على أربعين نفراً من العساكر الهايتة،[٤] ومن كثرة أمطار هذه السنة هدم أكثرها.

٠٧ـ٢٥: يوم الخميس منها إلى (الأرطاوى) على سيل.

٠٧ـ٢٦: يوم الجمعة منها إلى (العرجة)،[٥] على سيول عظيمة.

---

١ . جبل أحد ومكانه: وقعت فيها المعركة التاريخية بين النبي ﷺ وبين كفار مكة، وهو يقع كما يشير عاتق الحربي: «هُوَ مِنْ أَشْهَرِ جِبَالِ الْعَرَبِ، يُشْرِفُ عَلَى الْمَدِينَةِ مِنْ الشِّمَالِ، يُرَى بِالْعَيْنِ، وَلِأَهْلِ الْمَدِينَةِ بِهِ وَلَعٌ وَحُبٌّ، وَهُمْ يُسَمُّونَهُ (حِنٌّ) مِنْ بَابِ التَّدْلِيلِ! وَقَدْ وَرَدَتْ فِي فَضْلِهِ أَحَادِيثُ، وَلَوْنُهُ أَحْمَرٌ جَمِيلٌ، وَهُوَ دَاخِلٌ فِي حُدُودِ حَرَمِ الْمَدِينَةِ». معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، مصدر سابق: ١٩.

٢ . يوجد بالمدينة المنورة حرتان «لابتان» إحداهما شرق المدينة المنورة وتسمى «حرة واقم» والأخرى غرب المدينه المنورة وتسمى «حرة الوبرة»، وهما اللتان تحدان حرم المدينة المنورة وقريبة منها، والمقصود هنا (حرة واقم)، الواقعة شرق المدينة المنورة، وهي المعروفة بـ: (حرة بني قريظة).

٣ . الحناكية: وتقع في الجزء الشمالي الشرقي من منطقة المدينة المنورة، يحدّها من الشمال منطقة حائل، ومن الشرق منطقة القصيم، ومنطقة الرياض، ومن الجنوب محافظة المهد، ومن الغرب محافظة خيبر، وهي تبعد عن المدينة المنورة مسافة ١١٠كم.

٤ . الهايتة: بمعنى الجماعة غير المنضبطة.

٥ . وهي (عرجا)، ويقال (عرجة) بالتاء المربوطة، وهي عجرة قديمة نامية أسست على ماء يعرف بهذا الاسم، تقع شمال الدوادمي على بُعد ٣٠ كم، تعرف بمزارعها ونخيلها، وسكّانها المحاميد من قبيلة الروقة من عتيبة، يوجد بها ماء قريب منها يعرف بـ: (النشاش)، قال ياقوت: «العَرِجَة: بكسر الراء، ماء لبني نمير». المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية عالية نجد، مصدر سابق: ٩٢٥.

٠٨ـ٢٧: يـوم السـبت منهـا إلى (الأصفير)،[١] على سـيل عظيم وأُمْطِرنا فيـه إلى مطلع الفجر.

٠٨ـ٢٨: يوم الأحد إلى (سمر الهميلية)،[٢] على سيل عظيم وأُمْطِرنا إلى الليل.

٠٨ـ٢٩: يوم الاثنين إلى (وادي الرشا)،[٣] على سيل كثير، وأُمْطِرنا فيه ليلاً.

الساعة: [شهر] صفر:

٠٩ـ٠١: يوم الثلاثاء منه إلى (وادي الرمة)،[٤] على سيل كثير وأُمْطِرنا فيه ليلاً.

٠٧ـ٠٢: يوم الأربعاء م إلى (عقلة أبان)،[٥] على سيل كثير وأُمْطِرنا ليلاً.

---

١ . ولعـل مقصـده ومـراده «أصفـر عفيف» لأني لم أجـد ذكراً لهذه التسـمية في المعاجـم الجغرافية المهتمة بالجزيـرة العربيـة، يقـول صاحـب المجـاز: «ويقع فيما يشـبه الفـج بين جبلـين، فالجبل القائم شـماليه جبـل أصفـر طويـل، يقـال لـه (أصفـر عفيـف)، ويمتـد شـمالاً ويمعـن في الامتـداد، وبـه مناهـل ومسـميات، ويصاحبـة مـن الناحية الشـمالية الشرقيـة جبـل (الو يكة)، وفي امتـداده (أبـا الحصائية) و(قرنـين)، وبهـا مـن الناهل منهـل (قليثـة)». المجـاز بين اليمامـة والحجـاز، مصدر سـابق: ١٤٩.

٢ . لعـل مقصـده «سـميراء»، وهـي تعـرف اليـوم بــ: (القـصر)، قـال حمـد الجاسر: «وهي بلـدة ذات نخـل وسـكان كثيريـن تابعة لأقليـم حايل»، . المناسـك وأماكن طـرق الحاج ومعالم الجزيـرة، مصدر سـابق: ١١٦، ٤١٣.

٣ . وادي الرشـا: وادٍ عظيـم في عاليـة نجـد ومـن أهـم الأوديـة التـي تجري في وسـط نجد ويبلـغ طوله تقريبـا ١٨٠كـم مـن الشـمال إلى الجنوب ويسـيل باتجاه الشـمال حتـى يصـل منطقة الخرمـا وخريمان التابعـة لمنطقـة القصيم، وهو مـن البلاد التابعة لأمـارة الدوادمي، ويبعـد عن مدينـة الدوادمي أربعة وأربعـين كيـلاً. المعجـم الجغرافي للبـلاد العربية السـعودية عالية نجـد، مصدر سـابق ٣: ١٢٨٩.

٤ . وادي الرَّمـة: الـذي كان وادي الباطـن امتـداداً لـه، وذلـك لاتّسـاع عرضـه وطولـه وسـيطرته عـلى مسـاحة شاسـعة إذ يعـبر الجزيـرة العربيـة مـن الغـرب إلى الـشرق كـما أنـه أطـول واد يشـبه الجزيرة العربيـة إذ يبلـغ طولـه تقريبـاً أكثر مـن ١٠٠٠كـم، ...

٥ . (العقلـة) هـي البئر القريبة الماء والقصيرة الرشـاء أخذت تسـميتها من كونها يمكن أن يسـتقى بها بعقال البعـير، و(أبـان) جبلان من أشـهر جبال وسـط شـبه الجزيرة العربيـة (نجد) قديـماً وحديثـاً، ويقعان في

٠٨ـ٠٣: يـوم الخميـس نزلنـا خـارج (النّبهانيـة)،[١] قريـة مـن قـرى (القصيـم) كثيرة البسـاتين والعيـون وأُمْطِرنـا ليلاً.

٠٨ـ٠٤: يوم الجمعة منها إلى خارج (الرس)،[٢] بلدة معتبرة كثيرة البساتين والعيون.

٠٨ـ٠٥: يـوم السـبت منهـا إلى بلـدة (عُنَيْزَة)[٣] من أكـبر بلاد(القصيـم) أهلها أخيار، كثـيرة البسـاتين والعيـون. وأقمنا بها ثمانية أيام وسـيّرت حاجّ الأحسـاء إلى حضرة الفريق مـع حمدان بـن ناصر.

١٤ـ٠١: يـوم الاثنـين نزلنـا (وادي عنيـزة)،[٤] متوجهـين إلى الكويـت سـقياً ورعيـاً، وأقمنـا فيـه يومين.

١٦ـ٠٦: يـوم الأربعـاء منـه إلى (روضـة منها الصالـح)،[٥] قرية من قـرى (بريدة) فيها

منطقة القصيم إلى الغرب في مدينة النبهائية، ... معجم بلاد القصيم، مصدر سابق١ : ٢٢١.

١ . قريـة النبهانيـة تقـع في الجـزء الغربي لمنطقـة القصيم في شرق جبل أبان الأسـمر. ويمـر بجانبها وادي الرمـة على بعد ٥كـم، وهي اليـوم مدينة مترامية الأطراف.

٢ . الـرس: منطقـة في غـربي القصيـم، تقـع في هضبـة نجـد، ويحدهـا مـن الـشرق البدائع ومـن الغرب قصـر ابـن عقيـل والشـنانة ومـن الشـمال الخبراء والقريـن ومـن الجنـوب دخنـة. الـرس تبعد عن الريـاض (٣٨٥كـم)، وعن المدينة المنـورة (٤٠٠كم). يقول ياقـوت الحموي (معجـم البلدان الرس والرسـيس واديـان بنجـد أو موضعـان، وقال عـليّ: الرس مـن أودية القبيلـه. وقال غـيره: الرس ماء لبنـي منقـذ ابـن أعيا من بني أسـد. معجـم بـلاد القصيم، مصـدر سـابق ٣ : ١٠٢٣.

٣ . عُنَيْـزَة: منطقـة تاريخيـة تقع في الجزء الشـمالي الأوسـط مـن هضبة نجـد إلى الجنوب من مجـرى وادي الرمـة، وتحيـط بهـا كثبان رملية من الشـمال والغرب تسـمى رمـال الغميس بينما يقـع إلى الجنوب منها رمـال وغابـات الغضا في منطقة الشـقيقة، وهـي المدينة الثانيـة في القصيم، وقد كانت مـن أقوى مدن القصيـم تجـارة، وأكثرها كثافة سـكانية. معجم بـلاد القصيم، مصدر سـابق ٦ : ١٦٣٨.

٤ . لا يوجـد شيء اسـمه وادي عنيـزة، وإنـما ربما طاف على أحـد الوديان الموجـودة بالقصيم فاطلق عليه وادي عنيزة.

٥ . الصحيـح (روضـة مهنـا الصالـح): تقـع قـرب بلـدة الربيعيـة في منطقة القصيـم. اشـتهرت روضة المهنـا، بكثـرة الميـاه والزراعـة فيهـا، ولقد سـميت بروضة مهنا نسـبة إلى أمـير القصيم السـابق وأمير

بساتين ومياه.

٠٦ـ١٧: يوم الخميس منها إلى (نفوذ الزّلفي)،[١] من بلاد (القصيم)،[٢] لو اجتمع تتوازن بلاد الأحساء والقطيف.

٠٥ـ١٨: يوم الجمعة منه إلى (الفزوك) رعياً لا سقياً.

٠٦ـ١٩: يوم السبت منه إلى (أبرق،[٣] الجراب) رعياً لا سقياً.

٠٦ـ٢٠: يوم الأحد منه إلى (مقطاع جراب) سقياً ورعياً على آبار كريهة اللون والطعم والريح.

١٠ـ٢١: يوم الاثنين في (أبرق جراب) رعياً.

١٢ـ٢٢: يوم الثلاثاء منه إلى (الدّحول)،[٤] سقياً من مياه الأمطار مجتمعة في غار جبل.

٠٣ـ٢٣: يوم الأربعاء منه إلى (أبرق الدّحول) رعياً فقط.

الربيعية مهنا بن صالح أبا الخيل الذي كان يمتلكها. يكيبيديا الإلكترونية.

١. الزلفي: تقع مدينة الزلفي في إقليم نجد في أقصى شمال منطقة الرياض على الحدود القصيمية الشرقية، وتبعد عن مدينة الرياض مسافة ٢٦٠كم تقريباً شمالاً، وهي مدينة عامرة كبيرة ذات أسواق تجارية ونخيل ومزارع وذات أحياء متباعدة تقريباً، ... معجم اليمامة، مصدر سابق: ٥٢٩.

٢. لا تعد الزلفي من بلاد القصيم.

٣. أبرق أو الأبراق، والبرقا، يطلق على التي شمال النير من أواسط نجد... والأصلُ في البرق اختلاط لوني البياض والسواد، ثم توسع فيه فأطلق على كل لونين اختلطا، وهي حجارة يخالطها الرملُ، ... معجم اليمامة، مصدر سابق ١: ٤٨.

٤. الدحول: مفردها الدِّحْل: وهي فتحة طبيعية في الأرض، يمكن للإنسان الدخول منها والسير بطرق متعرجة ومنحدرة تضيق وتتسع وتصل غالباً إلى مياه. وجمعه دُحُول، ...نقب في الأرض، ومن أشهر دحول الصمان: دحل أبا الجرفان ودحل أبا السيقان ودحل أبا الضيان وغيرها عشرات الدحول.

١٢ـ٢٤: يوم الخميس منه إلى (الصمان)،[١] لا ماء ولا مرعى.

٢٥ـ٠٦: يوم الجمعة منه إلى (اللصافة)،[٢] على آبار وأقمنا بها يوم السبت.

٢٧ـ١٠: يوم الأحد منها إلى (القرعاء)،[٣] الخالية من الماء والمرعى.

٢١ـ٢٨: يوم الاثنين في (أبرق القرعاء).

٢٩ـ١٠: يوم الثلاثاء نزلنا قرب (الكويت) مرعى لا ماء.

٣٠ـ١٠: يوم الأربعاء نزلنا (الكويت)، [وهي] بلدة معمورة خالية من البساتين والنبات قليلة المياة، على جانب البحر، وأقمنا بها يوم الخميس وصلينا بها الجمعة.

الساعة: [شهر] ربيع:

٠٢ـ٠٥: يوم الجمعة بعد الصلاة تحركنا منها صحبة صاحب الرفعة مبارك الصباح،[٤]

---

١ . الصُّـمَّان: هي هضبة مستطيلة تقع في شرق شبه الجزيرة العربية وتمتد الهضبة من الربع الخالي جنوباً حتى الحدود العراقية شمالاً وذلك بطول ١٠٠٠كم تقريباً ويتراوح عرضها بين ٨٠ إلى ٢٥٠كم تقريباً، ويبلغ ارتفاع الهضبة ما بين ٢٥ متر عند حافتها الشرقية و ٤٠٠ متراً عند حافتها الغربية ويحدها من الغرب الدهناء ومن الشرق السهل الساحلي للخليج [الفارسي]، ويسمى القسم الجنوبي من الصمان بالصلب والشمالي بالصمان. الصّمّان، مصدر سابق ١ : ٩٢، ١١٣.

٢ . اللصافة: كانت تعرف قديما (لصاف) وقد أشتق أسمها من الصف وهو ثمر الشفلح الذى يشبه طلعه الخيار إلّا أنّ لونه أحمر، تقع شمال بلدة القرعاء بـ: ٢٠ كم، وتعد «شواجن» أو آبار اللصافة أحد أشهر موارد المياه في صحراء الصمان، وشكّلت يوماً من الأيام أهم تلك الموارد وملتقيات البادية، فهي من أشهر المناطق التي تقصدها القبائل البدويّة كمنطقة رعي للأغنام والإبل.

٣ . قرية تقع على طرف الصمان، في الطريق المتجه إلى الكويت.

٤ . الشيخ مبارك بن صباح الصباح (١٨٤٠ـ١٩١٥م)، حاكم الكويت السابع والمؤسس الحقيق لها. تولى الحكم في ١٧ مايو ١٨٩٦ ولُقب بـ: (مبارك الكبير). ازدهرت الكويت في عهده تجارياً، وشيدت فيها أولى المدارس النظامية، كما شُيد في عهده أولى المستشفيات الطبية.

إلى (الجهـرة)،[1] [وهـي] منتزه لأهل الكويت فيهـا قصر ونخيل قليلة.

٠٤ـ٠٣: ليلة السـبت ويومه مسرى إلى (اسـفوان)،[2] منتزه لأهل البصـرة نزلنا بقصر ذي الفضيلـة نقيـب أفندي فيها مياه كثيرة وبسـتان الأفنـدي المؤما إليه.

٠٧ـ٠٤: يوم الأحد منه إلى البصرة بضيافة حضرة نقيب أفندي.

٥٩٨: تكون ساعات المسير.

يـوم الاثنـين مسـاءً مـن البصرة ركبنـا (مركـب لنـدن) وتحركنا ليلـة الثلاثـاء بصحبة صاحـب العـزة نقيب زاده،[3] السـيد محمد سـعيد أفنـدي،[4] لزيارة حضـرة أفنـدي الوالي ـ حرسـه الله تعـالى ـ ونحـن، وجنـاب مبـارك الصباح بضيافة حضرة السـيد المؤمـا إليه،[5] في (الوابـور)،[6] المذكور.

---

١ . الجهـرة أو الجهـراء: مدينـة كويتيـة عامـرة، تقـع عـلى مسـافة ٣٢ كـم إلى الغـرب مـن العاصمـة الكويـت، وكانـت تعتـبر قديـماً امتـداداً لمنطقـة كاظمـه، اشـتهرت بآبارهـا العذبـة وزراعتهـا مـن النخيـل والخضـروات. الغنيـم، د. يعقوب يوسـف دولة الكويـت الأماكن والمعـالم، مركز البحوث والدراسـات الكويتيـة: الكويـت، الطبعـة الأولى: ٢٠٠٤م : ١١٥.

٢ . الصحيـح (سـفوان)، ويقـال لهـا (صفـوان): مدينـة عراقيـة، تقـع في أقصـى جنوب العـراق قرب الحـدود العراقيـة ـ الكويتيـة، يقابلهـا في الجانـب الكويتـي منفـذ العبدلي الحـدودي. يقع قـرب بلدة سـفوان جبـل سـنام. وهو مـن المرتفعـات القليلـة في تلـك المنطقة.

٣ . (نقيـب الجيـش) هو الـذي يتكفل بإحضار ما يطلبه السـلطان مـن الأمراء وأجنـاد الحلقة ونحوهم. (زاده) كلمـة فارسـية تـأتي بعـدة معـاني منها: أرسـتو قراطـي، فارس، قطـب، نبيل. معجـم الألفاظ التاريخيـة في العـصر المملوكي، مصدر سـابق: ١٥٢.

٤ . هـو محمـد سـعيد باشـا الموصـلي، تـولى إدارة لـواء نجـد (الحسـا) لثـلاث فـترات الأولى (١٢٩٥ـ١٢٩٦هـ)، والثانيـة (١٢٩٨ـ١٣٠٢هـ)، والثالثـة (١٣١٤ـ١٣١٨هـ)، ومع ذلك كانت عليـه تجـاوزات ومخالفـات. الأوضاع السياسـية والاقتصاديـة والاجتماعيـة في إقليم الأحسـاء، : ٢٢١.

٥ . أي المشار إليه.

٦ . كلمـة تركيـة تكتـب (بابـور) وتكتـب بالتركـي (Vapur) ومعناهـا باللغـة التركيـة هـو: السـفينة البخاريـة القديمـة.

[عدد ساعات سير الرحلة] ساعة،[1]:

٠٦٤: من الأحساء إلى الرياض.

١٨٣: من الرياض إلى مكة المشرفة.

٠٩٧: من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.

١٠٠: من المدينة المنورة إلى عنيزة.

١١٧: ومن عنيزة إلى الكويت.

٠٣٦: من الكويت إلى البصرة.

١٠١: من البصرة إلى بغداد.

٦٩٨: تكون الساعات.

تمت والحمد لله على التوفيق.

فهذا ما كان أمر ذهابي وإيابي وأنا أسأل الله تعالى الذي لا يخيب سائله ولا يحرم قاصده نائله، أن يديم أيام دولة مولانا السلطان الأعظم،[2] الخاقان الأفخم، سلطان السلاطين،[3] وحامي ذرى الملة والدين، ويؤيد دولته، ويخلد ملكه، وأن يوفق حضرة أفندينا الذي ماشق أحد من أمثاله لسعيه غبار، ولا بلغ مدى جرية أثر له من الآثار، وهذا حديث يأكل الأحاديث في كلّ شجر نار، وأن يجعله دائماً مسهلاً لأمور هذه الملة

---

١ . يقصد الساعات التي استغرقها الطريق في التنقل بين هذه المناطق.

٢ . السلطان الأعظم: ورد هذا اللقب من ألقاب سليمان القانوني، سليمان بن سليم خان الأول (١٤٩٥ـ١٥٦٦). الألقاب والوظائف العثمانية، مصدر سابق: ٤١.

٣ . سلطان: لقب من الألقاب التي استخدمها الحـ م في الدولة العثمانية ابتداء من عهد السلطان يلدرم بايزيد، أما سلطان السلاطين فهو من الألقاب التي أطلقت على سليمان القانوي. المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مصدر سابق: ١٣٥، الألقاب والوظائف العثمانية، مصدر سابق: ٩٨.

المحمدية، والفرقة الناجية الإسلامية، مولاي وملاذي صاحب الدولة السيد مدحت باشا، كان الله له وحماه من كل ولَه.

في ١٧ ربيع الأول سنة ١٢٨٨هـ، وأنا الفقير إلى الله عزّ شأنه سعدي زاده، السيد داود».

الطريق الرابع: طريق الحاج في الشعر الأحسائي :

لم يقتصر الاهتمام والعناية بطريق الحاج الأحسائي على النثر والوصف الجغرافي الصرف، بل دخل مجال الأدب والشعر، ليحلّق بكفي سماء الخيال، فيصف الشاعر الأحسائي عبد اللطيف بن عبد الوهاب آل بوبشيت الجفري (ت: ١٤٠٣هـ)، في كتابه (هداية المسالك لمؤدّي المناسك)، والتي تعرّض فيها لطريق الحاج الأحسائي الراكب على الإبل من الأحساء إلى مكة المكرمة مروراً بالدهناء إلى الرياض ثم في القصيم إلى منطقة الحجاز بوصف جميلٍ ورشيق، نورده لتعم الفائدة: [١]

يا قاصداً أرضَ الحجاز مؤدّياً ... لفريضةٍ ثَبَتَتْ من القرآنِ

وتؤمّ للبيتِ العتيقِ تزورهُ ... فاعرفْ طريقَك واستمعْ لبياني

من (هَجْرِ) للخطِّ الحديدِ مما شياً ... فتمرُّ بالدهناءِ والصمَّانِ

و(التوضحيةُ) عن يسارك حولها ... ماءٌ لذيذٌ بالحلاوة هاني

و(الخرج) يأتي عن يسارك بعدها ... مأوى الكرام ومنزلُ الشجعانِ

أعني (الرياضَ) فقد زهت بقصورها ... وحدائق وشوارع ومباني

فاقت بمنظرها العجيبِ وحسنها ... ما شاده كسرى من الإيوانِ

وارحل.. تمرّ بطلعةٍ منحوتةٍ ... من صخرةٍوأنزل إلى الوديانِ

---

١ . المطلق، عبد الله حمد، البوابة الجنوبية للأحساء: الطرف في ماضيها وحاضرها، الرياض: [د. ن]، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م: ٤٦٨.

بين المروجِ وحسنها وجمالها ... بمزارعٍ تزهو من الألوانِ
حتى تشاهد بلدة معمورة ... وترى (الكميت) إلى (مراة) داني
وتمرّ (شقرا) ثم تأتي بعدها ... أرض (النفوذ) وناعم الكثبانِ
و اترك لخفّ لا تمر فبعدُهُ ... ريقُ النبات ومنهلُ الظمآنِ
انزل (عفيفاً) و(الدفينةَ) بعدهُ ... أرضٌ عليها مرتعُ العربانِ
ثم (المويه) فـ(ركبة) مع عرقها ... و(عشيرة) وانزل من الريعانِ
ولتأتِ للميقاتِ فاحرم عنده ... (قرن المنازل) واغتسل بأمانِ
ميقات نجد والكويت وهجرنا ... معْ كلِّ شرقيٍّ من البلدانِ
يَمَنٌ (يَلَمْلَمُ) فالعراقُ بعرقِها ... الشام حجّةُ ثمّ للسودانِ
وكذلك المصريُّ يحرم عندها ... أو (رابغٌ) حتماً بدن توانِي
و(حليفةٌ)لأهل المدينةِ والذي ... من حولها يأتي فخُذْ ببيانِ

بعد هذه الرحلة الممتعة والأجواء الجميلة التي عشناها مع الشاعر البوبشيت وهو يتنقل بنا من ديار إلى ديار ونحن نيمّم شطر الأراضي المقدسة حيث مكة المكرمة والمدينة المنورة، نجد أن الشاعر ألمح في قصيدته إلى عدة نقاط مهمة نذكر أبرزها:

خطة السير والمنازل التي يسلكها الحاج الأحسائي من حين مغادرته الأحساء إلى مكة المكرمة، وهي كالتالي:

يبدأ الطريق مماشياً لطريق سكة الحديد القديم لقطار الحجاز إلى أن يصل إلى بلدة (التوضحية) مع جعلها في جهة اليسار، ثم إلى (الوديان والمزارع) إلى أن تصل بلدة (الكميت)، ثم إلى (مراة)، ثم (شقراء)، ثم تأتي (صحراء النفوذ)، ثم (الدوادمي)، إلى أن يصل (الجبلان)، ثم (قاعية)، ثم (عفيف والدفينة)، ثم (الموية)، ثم (ركبة)، ثم (عشيرة)، ثم الميقات (قرن المنازل)، بعده مكة المكرمة وهي نهاية الرحلة.

وهـي تعـادل حـدود ١٦ منـزلاً، يقف عندهـا الحـاج أو يمرّ عليهـا في طريقـه إلى مكة المكرمة.

* إنَّ الحـاج في طريقـه إلى مكة المكرمة يحـرص على الوقوف والاسـتراحة عند مصادر الميـاه الصافيـة، وذلـك بغـرض التـزوّد منهـا وإرواء الـدواب بعـد مشـقة الطريـق وعناء السـفر، وعـدم النفـوق تعباً وعطشـاً، لذا أشـار الشـاعر إلى الأماكـن المهمـة والتي يكون الحـاج بحاجـة للتعرّف عليها والاسـتفادة منهـا ليكون على درايـة تامّة بمعـالم الطريق إلى الديـار المقدسـة، فذكـر (التوضحيـة) والتي تتمتـع بالماء العـذب الزلال، فقـال عنها:

و(التوضحية) عن يسارك حولها ماءٌ لذيذٌ بالحلاوة هاني

ثم منطقة الرياض، حيث يتصف أهلها بالسخاء وإكرام الضيف، فقال عنهم:

و(الخرج) يأتي عن يسارك بعدها

مأوى الـ ـرام ومنزلُ الشجعانِ

أعني (الرياضَ) فقد زهت بقصورها

وحدائق وشوارع ومباني

ثـم إلى المـزارع والوديـان التـي تـلي الريـاض، حيث تتوفـر المراعـي الخضـراء والمياه الصافيـة، كـما ذكـر (الدوادمـي) التـي فيهـا «ريـق النبـات ومنهـل الظمـآن»، كـما ذكـر (الدفينـة)، وهـي من المناطـق التي تتوفر فيها مصادر الحياة التي لا يسـتغني عنها المسـافر، فقـال في شـأنها «أرض عليهـا مرتـع العربان».

ولهـذا نلحـظ أنّ الشـاعر إضافـة إلى توضيح المنازل التي يسـير عليهـا القاصد إلى مكة المكرمـة فـإنَّ ما ذكـره يعتـبر خارطةً للطريق لو سـار وفـق المناطـق والمنازل المشـار إليها، وهـذه الخارطـة تضمـن عـدم انحـراف الحـاج عن الجـادة، حيـث أعطـى تصـوّراً ورؤيةً عـن بعـض هـذه المعـالم ومـا تمتاز بـه عن غـيره، فبعضهـا أشـار للـماء، والبعـض المراعي الخـضر والمراتـع الخضـر، ومنهـا تمتاز بالسـخاء وإكـرام، وهـي في مجموعها تعـدّ لفتات

وتوجيهـات مهمّـة نابعـة من تجربـة ومعرفة.

* هنـاك منـازل يمـرّ مـن خلالهـا الحـاجّ أو بقربهـا؛ لكـن ينصحـه الشـاعر مـن واقع التجربـة بتجنّـب الوقـوف عندهـا وشرب المـاء فيهـا، والتي منهـا (خف) فقـال: «واترك لخـف لا تمـر»، كـما ذكـر منطقة أخـرى ماؤهـا مر، وهـي (قاعيـة) فقـال عنها:

(قاعيـة) لا تقربـنَّ مياههـا مـرّ فـلا يحلـو إلى العطشـانِ

وهـي توجيهـات مهمـة يلحظها الحـاجّ ويهتمّ بهـا، ولا يحتاج لهـدر الوقـت بالوقوف عندهـا وهـو في أمـس الحاجة إليـه لإدراك موسـم الحج.

* إنَّ الرحلـة تكمـن أهميتهـا في كونها تجسّـد تجربـةً حية عـن طريق الحـاج، ونموذجاً لمـا يسـلكه الأحسـائيون في طريقهم إلى مكـة المكرمة، وقـد تخللها بعـض الوصف لمناطق الرحلـة، يتعرف القـارئ لها عـن بعض معانـاة الطريق.

الفصل الثاني ، الطريق غير المباشر :

يتألـف الطريق غـير المباشر من مجموعة من الـدروب والطرق التـي وردت في المصادر وقد قسّمناها إلى مرحلتين:

* المرحلة الأولى من الأحساء إلى اليمامة:

وهـي تشـ ـل ثلـث الطريـق وبالمـاء والـزاد، وانـما قـد يتوقـف في موضـع وفي رحلـة أخـرى يتوقـف في موضـع آخـر.

إنّ هـذا الطريـق يمثـل طريقـاً واحـداً أو عـدة طـرق تبعاً لرحلـة الحـاج، وهو يختلف عـن الطـرق الأخـرى التي أتينـا على ذكرها، ممـا يعني أن الحاج الأحسـائي، يسـلك طرقاً مختلفـة في رحلتـه إلى الديـار المقدسـة تبعـاً للأوضاع الأمنيـة، وتقلبات الطقـس، أو لخبرة الدليـل بالطـرق، بملاحظـة أن الرحلـة تختلـف في بعـض أجزائهـا ومنازلهـا تبعـاً لرؤية

الدليـل و قائـد الرحلـة الذي قـد يعدل برأيه مـن منطقة إلى أخـرى وفقاً لتجاربه السـابقة أو لرؤيتـه المسـتندة على ظـروف مؤاتية أثنـاء الرحله.

من محطّات الحاجّ إلى الحرمين :

سـلك الحاج الأحسـائي و السـائرون على دربه عـدّة طرق مختلفة قـد تتقاطع في بعض المناطـق و قـد تختلف، و قد ورد ذكرهـا في المصادر التاريخية بأنها من المناطق التي يسـلكها الحاج الأحسـائي في الذهاب أو العودة.

وهـذه الطـرق فرضتهـا العوامـل الطبيعيـة لها من حيـث وفرة المـاء والـكلأ، وكذلك توفّـر عنـصر الأمـن و الأمان فيهـا، نوردهـا تباعاً وفـق ذكرهـا في المصادر:

ثادق:

تقـع في الجـزء الشـمالي الغـربي مـن منطقـة الريـاض، تتبعهـا إداريـاً بامتداد طـولي من الشـمال إلى الجنـوب بنحـو (١٥٠كـم)، ومـن الـشرق إلى الغرب بنحـو (٥٠كـم) تقريباً.

وتعتـبر محافظـة ثـادق عاصمة إقليم المحمـل، وتتبعهـا إدارياً عدة بلـدات صغيرة ورد ذكـر بعضهـا ضمـن طريـق الحاج الأحسـائي، وهـي: رغبـة، البـير، الصفـرات، الحسي، رويغب، مشـاش السـهول، رويضة السـهول.

وتمتـد محافظـة ثـادق من الشـمال حتى محافظـة المجمعـة، ومـن الجنوب حتـى محافظة حريمـلاء، ومـن الـشرق حتـى الحظافـة والملتهبة، ومـن الغرب حتـى محافظة شـقراء.

حظيـت بلدة ثادق بمـرور بعض قوافل الحج الأحسـائية المارة بالعـارض (الرياض)، فـكان ممـن توقف فيها الأمير سـعودن آل غريـر رئيس بني خالـد بعسـاكره في قافلة الحج الأحسـائية المتجهة إلى مكة عام ١١١٩هـ .[1]

١ . تاريخ ابن بشر، مصدر سابق: ٣٥٥.

حائل:

حائـل مدينـة تقـع شـمال نجـد و هي مـن المناطق الوسـطى، وتشـتهر حائـل بالجبلين الشـهيرين جبـل سـلمى و جبـل أجا. تقـع مدينة حائـل في منطقة جبـل أجا غـربي وادي الأديـرع، وفي قلبهـا تقع بئر سـماح المشـهورة بغـزارة و عذوبـة مياهها.

وتمتـد المدينـة على شـ ـل قوس حـول جبل السـمراء كـما يحدّهـا شرقاً شـعيب المليح المعـروف باسـم المليحيـة، ويحدّهـا من الشـمال والغرب جبـل أجا.

هـذه المنطقـة ممـا أشـارت المصـادر أنهـا ضمـن مناطق طريـق الحـاج الأحسـائي التي ارتبطـت ببعـض الحـوادث منها:

ففـي مطلـع القـرن الرابـع عـشر، سـار الشـيخ عـلى بـن محمـد بـن موسـى الرمضان (١٢٥٣ـ ١٣٢٤هـ)، في زعامـة قافلـة للحـج، فمـرّوا بطريقهـم بمدينـة حائـل، وفيهـا اسـتضافهم وزيـر أميرهـا ابـن رشـيد، فلـمّا أرادوا الرحيل منهـم كان خروجهـم ليلاً فلما تركـوا البـلاد خلـف ظهورهـم أغار عليهـم بعـض الأعـراب، ولم يترك عندهـم صغيرة ولاكبيرة، فأنشـأ الشـيخ الشـاعر الرمضان قصيـدة بعث بهـا إلى الوزير قال في مسـتهلها:

ومنهـم مـن يعـشّي الضيـف ليلاً وينهـب رحلـه قبـل الصّبـاح

ولحسن الحظ ركب الوزير خلف الجناة، واسترجع عليهم ما أُخذ منهم من البُداة.[1]

العارض (الرياض):

ففـي العـراض يجتمـع كثير من الحجـاج القادمـين مـن شرق الجزيرة العربيـة كمنطقة البحريـن والأحسـاء، حيـث يقـوم الحجـاج أثنـاء مرورهـم بالتوقـف في العـارض التي اشـتهرت منهـا محلـة كان يمكـث فيها هـؤلاء الحجاج و يتـزودون منهـا بالمـؤن ويبيتون

١ . آل ابي‌خمسين، الشـيخ محمدباقـر بـن موسـى، علـماء هجـر و أدباؤهـا في التاريـخ، تحقيـق: أحمـد عبدالمحسـن البـدر، نسـخة خطيـة ٢ : ٨٨.

فيها بـ: (خـان جليلة).[1]

و (خـان جليلـة) هـو محلّـة قامت ابنـة أمير الريـاض (العـارض) حجر اليمامـة حليلة بنـت عبدالمحسـن بـن سـعيد الدرعـي الحنفـي بالعنايـة بهـا وإيقافهـا عـلى الحجـاج و ما يحتاجونـه منهـا، وقـد مدحهـا شـاعر الرياض جمعيـش اليزيـدي الحنفـي بقوله:

جليلـة معـروف الحسـائي إلى حتـى ... عـذوق نواميهـا سـواه البواكـر

ودافي ذراهـا في شـتاها إلى سرى ... مـن الشـرق هبّـات الريـاح البواكر

فمـن لا يـؤدي حقهـا في ربوعهـا ... بضـرب الهنـادي و احتـمال الجرايـر

يمـوت عـلى غبن كليـلٍ مـن العمى ... وعقـب العمـى غـدا إلى النـار صاير

و في السـتينات الهجرية من القرن الرابع عشـر، كان كثيرٌ منهم يبيتون في مسـاجدها، ثـم يواصلـون رحلهـم منطلقين منها، وقد اسـتقرت بعـض الأسر الكريمـة في هذه الجهة منـذ حقب طويلـة نتيجة لهـذا العامل.[2]

وفي عـام ١١٢٧ هـ، مـرَّ العارض حاجاً للأحسـاء وأمـيره ابن عفالق و تـزود بالمؤمن الغذائية، وبيع صاع السـمن بمشـخص، والطـلي بأحمرين.[3]

وكذلك سنة ١١٣٣ هـ، في صفر مر حاج الأحساء على العارض و أميره سيف بن جبر.[4]

---

١ . خـان جليلـة: هـي المـكان المعـروف في الريـاض اليـوم بـ (خـان شـليلة) و حرّف الاسـم لسـهولة النطـق. وتقـع في شرق وادي الوتـر مـن جهة منفوحة. حيـث إن أقدم مـا اطلعت من إشـارة إلى هذا الاسـم (خـان شـليلة) في القرن الثالث عـشر الهجري كما في إحـدي الوثائق. وللجليلة أخت تسـمى مريـم والتـي وهبـت لهـا نصيبها مـن حديقة الكبيشـية في مقـرن (الريـاض)، قبل عـام ٩٦٩ هـ، و أحفـاد مريـم اليوم هـم أسرة آل عسـاكر في الريـاض من الـدروع من بني حنيفـة. قوافل الحـج المارة بالعـارض، مصدر سـابق: ٨٦.

٢ . قوافل الحج المارة بالعارض، مصدر سابق: ٨٥ ـ ٨٧.

٣ . تاريخ الفاخري، مصدر سابق: ١١٩.

٤ . تاريخ ابن لعبون، مصدر سابق: ١٤٩.

العـارض وراء الوشـم، والوشـم هـو الـذي ينتهـي إليـه آل فضـل إذا توسّـعوا في الـبرّ، وهـم بنـو زيـاد، والجميلـة، وعـرب الخـرج و هـم العقفـان والبرحـان، ومـن بلادهـم: البريـك والنّعـام، و [همـا] قريتـان في واد منيـع إذا حصّن مدخله بسـور كان أمنع بـلاد الله.

عليه طريق ركب الأحساء والقطيف، و فيه يقول بعضهم:

لعلـك توطينـي نعامـاً وأهلـه ولو بـانَ بالحجّـاجِ عنـه طريقُ.[1]

عَفْلانَـة: منطقـة قريبة مـن ضرية على مسـيرة ثلاثة أميـال، ماؤها عاديـة كانت لكلب ثم صـارت لبني كلاب قـرب عفلان.

والعفلانـة مـاء لبنـي وقّـاص من بني كعـب بـن أبي بكر ابـن كلاب وحذاءها أسـفل منهـا عـين المحدثـة، فيها سـقاء للغنـم وهـي منطقة عـلى طريق حـاجّ اليمامة بهما يسـقون وينزلـون حيـث يضعـون أمتعتهم، وبـين النبعين ثلاثـة أميال.

والعفلانـة: بـين المحدثـة وبـين القبلة، وعـين المحدثـة، وتعد مـن المنابع التي يسـتفيد منهـا الرحالـة والحجاج.[2]

العيينـة: العيينـة قريـة تقـع عـلى وادي حنيفـة في منطقـة العارض بوسـط نجـد، تبعد حـوالي ٣٥كـم عـن مدينـة الريـاض، وهـي تشـكّل مـع جارتهـا الجبيلـة «مركـز العيينـة والجبيلـة» التابـع لمحافظـة الدرعية.

وتشـتهر العيينـة بالزراعـة و ذلـك لتوفـر الميـاه فيهـا، ويعمـل سـكانها ـ والذيـن هم مزيـج مـن الحـاضرة والباديـة ـ في الزراعـة وتربيـة المـواشي.

تمـرّ قوافـل الحـج الأحسـائية ببلـدة العيينـة، حيث أشـار ابن شـدقم إلى قصيـدة قالها

١ . العمـري، أحمـد بـن يحيـى بن فضـل الله القـرشي العـدوي (المتـوفي: ٧٤٩هــ)، مسـالك الأبصار في ممالـك الأمصـار، المجمع الثقـافي، أبوظبـي، الطبعـة الأولى، ١٤٢٣هــ ٤ : ٣٥٣.

٢ . معجم البلدان، مصدر سابق ٤ : ١٣٢.

الأمير حمزة العامري مادحاً الأمير كبش بن منصور ابن جماز الحسيني (ت ٧٢٨ هـ) حيث كان اتجاه حمزة العامري في طريقه للمدينة قادماً من الأحساء بعد مروره على هذه البلدة فقال:

قلت الشريف ابن الشريف أزروه فأنحيتُ من حول العيينة ضمَّراً

ابن الرسول ابن البتول ابن الولي يرفلنَ أرفال النعامِ الجفّلِ[1]

كما أنها محطّة يمكن الاستراحه فيها والتموّن منها، كما حدث في عام ١١٢٠هـ، إذ نزلت قافلة الحجّ الأحسائية العيينة في طريق العودة من مكة، وكانت بقيادة نجم بن عبيدالله بن غرير.[2]

ولهذا فإنّ هذه البلدة (العُيينة) تعدّ من أهم البلدات التي ينزل بها الحجّاج والعابرون من الأحسائيين، سواء كانوا ذاهبين إلى مكة المكرمة بقصد الحج والتعمّر، أو المدينة المنورة بقصد الزيارة، وذلك نظراً لما تتمتّع به هذه البلدة من موارد طبيعية جاذبة.

النَّعام: نعام بلدة صغيرة في منطقة نجد، تتبع محافظة الحريق التابعة لمنطقة الرياض. تقع على وادي نعام الذي تقع عليه أيضاً بلدة الحريق. ونعام بلدة قديمة عرفت بهذا الاسم من قبل الإسلام.

والنَّعام، و [هما] قريتان في واد منيع إذا حصّن مدخله بسور كان أمنع بلاد الله. قال ابن عرّام:

«وإلي هذا الوادي أزمع تنكز على الهرب حين خاف من الملك الناصر، وعليه طريق ركب الحسا، و عليه ممرّ الركب من الحسا والقطيف، و فيه يقول بعضهم:

---

١ . قوافل الحج المارة بالعارض، مصدر سابق : ٨٧.

٢ . ابن ربيعة، مدعا، تاريخ ابن ربيعة، تحقيق: د. عبدالله بن يوسف الشبل، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسس المملكة العربية السعودية: الرياض، الطبعة الأولى: ١٩٩٩م: ٨٠.

لعلـك توطينـي نعامـاً وأهلـه ولـو بـانَ بالحجّاجِ عنـه طريقُ»[1]

الوبـاءة: موضـع في وادي نخلـة اليمانيـة، عنـد يكـون مجتمع حـاجّ البحريـن واليمن و عـمّان والخط.[2] وهـو واد يصـبّ فيـه يدعان وبه مسـجد لرسـول اللهﷺ و به عسـكرت هـوازن يـوم حنـين ويجتمع بـوادي نخلـة الشـامية في بطن مـر و سـبوحة وادي يصب في اليمامـة عـلى بسـتان ابن عامـر وعنده مجتمـع نخلتـين وهو في بطـن مرّ.

ونخلـة واد مـن الحجـاز بينه وبـين مكة مسـيرة ليلتين، أحـد الليلتين مـن نخلة يجتمع حـاجّ اليمـن ونجد ومـن جاء من قبـل الخط وعـمان والبحريـن مجتمع حاجهـم بالوباءة، وهـي أعـلى نخلة، وهي تسـمى النخلـة اليمانية وتسـمّى النخلـة الأخرى الشـامية، وهي التـي تسـمّى ذات عـرق، وأمـا أعـلى نخلـة ذات عـرق فهـي لبني سـعد بـن بكـر الذين ارضعـوا رسـول اللهﷺ، وهي كثيرة النخل وأسـفلها بسـتان ابن عامـر و ذات عرق التي يعلوهـا طريـق البصرة وطريـق الكوفة.[3]

العقير الواجهة البحرية للأحساء:

يُعـدّ مينـاء العقـير مـن أهـمّ المـواني شرقـي الجزيـرة العربيـة، فهـو يقع شرقـي مدينة الهفـوف عـلى بُعد مسـيرة ١٢ سـاعة بالجمال، وعلى مسـافة ٤٠ ميـلاً،[4] عن مدينـة الهفوف في اتجـاه الجنـوب الغربي.

ويعتـبر البوابـة البحريـة للأحسـاء و وسـط الجزيـرة العربيـة كنجـد وغيرها، كـما أنه يتمتـع بتاريـخ حافـل في مجـال التوريـد والتصديـر، وهـو مـن أقـدم المـواني في العصـور

١ . مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، مصدر سابق ٤ : ٣٥٣.

٢ . معجم البلدان: مصدر سابق ٥ : ٣٥٩.

٣ . شراب، محمـد محمـد حسـن، المعـالم الأثـيرة في السـنة والسـيرة، دار القلـم: دمشـق، الطبعـة الأولى: ١٤٠٠هـ، ٢ : ٢٦٦.

٤ . الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في إقليم الأحساء، مصدر سابق : ٣٢٩.

الإسلامية، فالبواخر تأتيه من الهند والصين وعمان وهرمز وبلاد فارس وغيرها من المناطق المختلفة، إما للتجرة استيراداً وتصديراً، أو من أجل قوافل الحج التي تأتي من مختلف البلدان، لتسير عبره إلى الديار المقدسة، و من ثم تعود إليه.

وقد لعب ميناء العقير دور الوسيط في تجارة اللؤلؤ بين الهند والصين وبلاد فارس في تصديرها إلى نجد و جنوب الجزيرة العربية ومكة والمدينة، فقد كانت الأحساء من أبرز المناطق التجارية التي تصلها البضائع المختلفة وتصدرها إلى مختلف أرجاء الجزيرة العربية، عبر الطرق التي تربطها بأصقاع الجزيرة العربية.

فهو ميناء تصدّر إليه البضائع المتنوعة مثل الأرز والسكر والقهوة والهيل من الهند والبصرة و فارس و عُمان والبحرين، و تغادره أسبوعياً قافلة تجارية مكوّنة من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ جمل إلى منطقة الهفوف ونجد، وأهمّ صادرات الميناء التمور والمنتجات المتعلقة بها والحصر والحمير والسمن والجلود والعباءات.[١]

كما كان ميناء العقير يصدر الخيول العربية الأصيلة إلى الهند والتي عرفت بها الأحساء.

نقل صاحب كتاب (مسالك الأبصار)، ـ من أعلام القرن الثامن الهجري ـ عن: «علي بن منصور العقيلي من أمراء عرب البحرين، وهم ممن يجلبون من البحرين الخيل إلى هذا السلطان [من سلاطين الهند]؛ أنّ لأهل هذه البلاد علامة في الفريس، يعرفونها بينهم، متى ما رأوها في فرس اشتروه بما عسى يبلغ ثمنه».[٢]

و نقل عن نفس الأمير العقيلي عن كثرة تواصل العقيليين مع الهند قوله: «قال إنّ أسفارنا ما تنقطع عن الهند و عندنا كثير من أخباره و تواترت الأخبار عندنا أنّ هذا السلطان محمد بن طغلقشاه فتح فتوحات جليله...».[٣]

---

١ . م. ن. : ٣٣٠.

٢ . مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، مصدر سابق ٣ : ٥٩.

٣ . م. ن. ٣ : ٩٠.

وبغـضّ النظر عـن الجانب التجـاري للميناء والأهمية الذي يشـكّلها لسـ ـن الجزيرة العربيـة، وسـوف نتحدّث عن بعـض القوافـل العابرة من خلالـه إلى الحجّ.

فقـد أولـت الدولـة العثمانيـة ميناء العقـير أهميـة كبـيرة واعتبرتـه أهـم ميناء لإيالة الحسـا، لمـا كان يحتلـه هـذا الميناء من شـهرة واسـعة لقـرون طويلـة، في الجانـب التجاري والسـياسي، فهـو البوابـة الرئيسـية لوسـط و شرق الجزيـرة العربيـة عـلى البحر، لـذا كان تاريخـه عريقـاً، و فاعـلاً لسـنوات طويلة.

ففي المصادر القديمة كان العقير فرضة الصين وعمان والبصرة.[1]

فمـا أشـارت المصادر سـنة ٩٨٠ هـ، إلى أهمية هـذا الميناء والدور الـذي يؤديه في خدمة الحـاج، حيـث كان هـو الميناء الرئيس في الأحسـاء لاسـتقبال الحجاج القادمـين من الهند، وكافـة المناطـق الواقعة إلى الجنوب الشرقي للخليـج [الفارسي] تقريبـاً،[2] اضافة إلى الدور الاقتصـادي الذي كان يؤديه في الاسـتيراد والتصدير.

وكانـت الدولـة العثمانية فرضت رسـماً على الحجّـاج القادمين عـبر الخليج [الفارسي] مروراً بالأحسـاء في طريقهم إلى مكة المكرمة،[3] وكان مقدار ذلك الرسـم في سـنة ٩٨٣ هـ، واحـد فلوري عـلى كلّ جمل ينضـم إلى قافلة الحج.[4]

وقـد اسـتمر هـذا الـدور العظيـم لميناء العقـير عـلى مـدى عـدة قـرون تتقاطـر عليه الوفـود المختلفـة لأداء فريضـة الحج، إما لقربهـا منه، أو لكونـه أكثر أماناً مـن ميناء جدة في بعـض الحقـب التاريخيـة، أو لأن طريـق الـبر الـذي يأتون عـبره من العـراق يكون غير سـالكٍ وعرضـة لهجـوم اللصـوص وقطّـاع الطريـق الذيـن ينشـط دورهـم مـع اقتراب

١ . العثمانيون في شرق وشبه الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٢٨٨.

٢ . م.ن. : ٢٨٨.

٣ . م.ن. : ٣٣٤.

٤ . م.ن. : ٣٤٨.

موسم الحج.

كما شهدت منطقة الحجاز في بدايات القرن الرابع عشر الميلادي١٩١٣م/ ١٣٣١هـ، الفترة التي دخلت فيها الأحساء تحت الحكم السعودي الثالث بعد أن خضعت للملك عبد العزيز آل سعود حالةً من عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي، حيث أصبح ميناء جدة غير آمن، وشعر الأشراف أن حكمهم على الحجاز إلى الزوال، الأمر الذي استشعره الحجاج القادمون من المناطق البعيدة عن طريق البحر.

لذا زادت حركة نقل الحجاجّ عبر الخليج [الفارسي] إلى العقير من العراق وإيران وعمان إضافة إلى الهند فأصبح العقير من أهمّ نقاط العبور لحجّاج تلك المناطق، وبخاصة في فترة ما قبل فتح الحجاز، حيث أعطت القدرة الإدارية للأمير عبدالله بن جلوي حاكم الأحساء من قِبل الملك عبدالعزيز سمعة طيبة لدى الحجاج القادمين عن طريق ميناء العقير.[١]

الفصل الثالث: السائرون على درب الحجّ الأحسائي

لا يقتصر طريق حاج الأحساء على أهالي شرق شبه الجزيرة العربية، وأنما كانت تتوافد عليه حجاج مختلف بقاع العالم التي ترى فيه طريقاً آمناً إلى الديار المقدسة، وقد استمرت مواكب الحج من خارج شبه الجزيرة ترد إلى الأحساء عبر ميناء العقير لمرافقة الحجاج فيها إلى بعد منتصف القرن الرابع عشر الهجري، وكانت مسيرتهم في قوافل كبيرة تحت حماية قوية حفاظاً لأمنهم وسلامتهم من قطّاع الطرق التي تترصد للحجاج في كل طريق و موطن.

يقول مايكل ن. بيرسون: «أشارت مدونة تاريخية برتغالية إلى أن منطقة الحسا (الأحساء) التي تضم ميناء البحرين والتي تبعد أربعين فرسخاً عن جزيرة البحرين،

١ . ميناء العقير، مصدر سابق : ٢٣٤.

كانت نقطة تجمع الفرس و عرب المنطقة لتتوجه إلى الحج، ويسافر هؤلاء ايضاً كالآخرين في قوافل، لأن طريقهم في هذه الحالة يعبر صحاري اليمن،[1] ويتعرّضون كثيراً لهجمات الأعراب أو البدو الذين يعيشون هناك، لذا فإن هناك حاجة إلى قوافل قوية الحماية».[2]

وإليك بعض الدول التي تتخذ من الأحساء طريقاً لبلوغ الديار المقدسة عبر ميناء العقير. وهي على النحو التالي:

البحرين:

المعروف أن أهل البحرين يسلكون في طريقهم للحج درب البحر، في معظم الأحيان تجنباً لمخاطر طريق البرّ. ويصحبهم بعض الهنود، وصولاً إلى جدة، ومنها إلى الساعدية حيث يحرمون منها ثم إلى مكة المكرمة وقد أكّد ذلك الشيخ أحمد السرحان، أنه قد سلك طريق البحر معظم علماء البحرين، فمما قاله في كتاب (مناسك الحج):

«... ويؤيد ذلك ويقويه فعل جملة من علماء عصرنا من المجتهدين ممن عرف هذا الطريق ـ طريق البحر عبر جدة ـ وسلك لا بأس بذكر أسمائهم ليكون المكلف على بصيرة في دينه لئلا يعرض عمله للفساد، فمنهم العلامة الأواه والدنا المقدس الشيخ علي بن المرحوم الشيخ عبدالله ـ نورالله مضجعهما ـ فإنه ركب البحر وسلك هذا الطريق مرات عديد ولم يحرم من البحر وتجاوز الموضع وتوجه للساعدية، وأحرم منها وبصحبته جملة من (الحيدرآبادية) وغيرهم، أخبرني شفاهاً، وأخبرني شفاهاً، ألا من أحرم من البحر فعمرته باطلة، وكان يشترط على من يدفع له نيابة عن الغير ألا يحرم من البحر، وهذا معلوم من سيرته، وقد عرف الناس منه ذلك، ومنهم ذو المجد والشرف السيد محمد بن السيد شرف، فإنه لما ح لم يحرم من البحر و منع الناس من

١ . الصحيح وسط الجزيرة العربية.

٢ . الحج إلى مكة المكرمة من شبه القارة الهندية، مصدر سابق: ٩٩.

الإحـرام منـه أيضاً، ومنهـم العلّامة الأوحد الشـيخ أحمد بن صالح، والسـيد عبدالقاهر، والعلّامـة الأوحـد السـيد نـاصر بن السـيد أحمـد بن السـيد عبدالصمـد، ومنهم الشـيخ حبيـب والشـيخ عيسـى وجملـة مـن علـماء البحريـن، [منهـم] عمّنـا الشـيخ، كالشـيخ محمدعـلي و ابنـه الشـيخ عبـدالله، والشـيخ أحمـد بـن حـرز [الجد حفـصي] وغيرهـم، مما يطـول الكلام بذكر أسـمائهم ـ نور الله ضرايحهم ـ ومنهم العالم المدقق السـيد عبدالحسـين الموجـود فعـلاً فإنـه لم يحرم من البحـر، و منع النـاس من الإحـرام، و توجه إلى السـاعدية وأحـرم منها.

ومنهـم علّامـة الزمـان السـند نـاصر عدنـان [الغريفـي] نزيـل البـصرة فعـلاً إلى غير ذلـك مـن أهـل العلـم و أهـل المعرفة».[1]

فهـو وإن كان بحثـه عـن الإحـرام مـن البحـر أو البـرّ لمـن حج عـن طريـق البحر من جـدة، فإنـه يؤكد كثـرة من حج مـن علماء البحريـن بطريق البحـر دون البـرّ. وذلك تجنباً لطريـق البـرّ لمـا يتخلله من مصاعبـه و مخاطـره التي يعاني منهـا قوافل الحاج، إما لسـلبهم أو لفـرض عليهـم ضرائب باهظـة للعبور.

إلّا أنّ التوجـه الكبـير للطريـق البحري لا يمنع أن يكون طريق البـرّ هو أحد الخيارات التـي كان يسـلكها حجاج البحريـن إلى مكة المكرمة سـواء في الذهاب أو العـودة، و ذلك لأسباب متعددة:

قد يكون اختلاف التكلفة بأنّ البرّ أقلّ كلفة من البحر.

الخيـار الأمنـي بمعنـى عـدم توفـر الأمـن في حقبـة زمنيـة على طـرق جدة، فقـد ثبت تربـص بعـض قطّاع الطرق بـين مكة المكرمة وجـدة، أو بـين المدينة المنـورة وجدة، حيث يذهـب الحـاج البحراني بعـد أداء مناسـك الحج.

---

١ . السـتراوي، أحمـد بـن محمد بـن سرحان البحـراني المتوفى بلنجة (١٣٧٠ هـ)، مناسـك الحـج، المطبعة الشرقيـة: البحرين، الطبعة الثانية: ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م: ٢٥ـ٢٦.

محدودية العدد للحجاج عن طريق البحر بما تسعه السفينة المتجهة إلى جدة، مما يجعل خيار البرّ سبيلاً آخر لمن كانت به رغبة ملحة على عدم تفويت موسم و بركة الوصول والبلوغ لبيت الله الحرام، بسبب عدم وجود مكان شاغر، أو غيرها من الأسباب.

فكانت الأحساء خيارهم للذهاب إلى الحج على طريقها، ضمن حجاج الأحساء، و تحت حمايتهم، وقد ذكرت المصادر المتفرقة لبعض الشخصيات العلمية البحرانية التي ذهبت أو قدمت من الحج عن طريق حاج الأحساء.

ومنها الحادثة التي ذكرها العلامة الشيخ يوسف بن أحمد بن ابراهيم بن أحمد بن صالح بن عصفور الدرازي البحران (١١٠٧ـ١١٨٦هـ)، صاحب كتاب (الحدائق الناضرة) في حدائقه:

«أقول: قد أشرنا سابقاً إلى أنه لا يخفى على من تأمل جميع البلدان ولا شاهد أبلغ من العيان فإنه ليس شيء منها موافقاً للعلامات الرياضية التي حكموا بإفادتها العلم فضلاً عن الظن، فإني من جملة من تتبع ذلك لأني لما سافرت إلى حج بيت الله الحرام على طريق البحر رجعت على طريق البرّ، فاتفق أنّ جماعة الحجاج اتفقوا مع الأمير أن يمضي بهم إلى المدينة، فخرجنا من مكة المعظمة سائرين إلى جهة الشمال خمسة أيام حتى وصلنا إلى منزل يقال له (مران)، فوقع بين الأمير والحاج اختلاف في ما وعدهم، وطلب منهم مبلغاً زائداً، واتفق الأمر على عدم مغدي،[1] المدينة المشرفة والرجوع إلى الأحساء، فمشينا على الطريق المتوجهة إلى الأحساء، وكان مسيرنا إلى طرف المشرق، وكنت إذا جنَّ الليل أرى المسير على مطلع الثريا و هو ماثل عن نقطة المشرق إلى جهة الشمال كما لا يخفى، حتى وصلنا إلى منزل يسمى سديرة (السدير)،[2] فسافرنا منه

١ . أي عدم الغدو لها.

٢ . يقع إقليم سدير إلى الشمال من مدينة الرياض، ويبعد عنها حوالي ١٨٠ كم.

قاصديـن إلى جهة الشـمال ثلاثة أيام ثم دخلنا الأحسـاء، و الأحسـاء كالبحرين والقطيف قبلتهـا الآن عـلى نقطـه المغـرب، و ما ذكرنـاه من هـذا الانحراف الـذي شـاهدناه موافق لمـا ذكـره علـماء الهيئة، ممـا قدمنا نقلـه و مؤيد لـه مـع أنّ قبلة هـذه البلدان منـذ وجدت و دخلـت في الإسـلام في زمن النبـي صلى الله عليـه وآله».[1]

وهنـا أشـار إلى (السـدير) بأنهـا واحـدة مـن المناطـق التـي يمـر عليها حاج الأحسـاء للتـزود، كـما حـدد زمن المسـير مـن اليمامـة إلى الأحسـاء بثلاثـة أيام.

وكان ممـن سـار عـلى طريـق حاج الأحسـاء الشـيخ أحمد بن الشـيخ حسـن بـن محمد بـن علي بـن خلف بن إبراهيم بـن ضيف الله البحـراني الحويصي الدمسـتاني، وكان العلماء يسـتغلون الفـترة الزمنيـة الطويلـة التي يسـتغرقها الطريق في النقاشـات العلميـة، وتبادل الإجـازات الروائية.

يقـول الشـيخ عبدالمحسـن بـن محمـد اللويمـي في إشـارة لحصولـه عـلى إجـازة مـن الشـيخ أحمـد الدمسـتاني عندما سـار حـاج البحريـن مع حـاج الأحسـاء عن طريـق البرّ فقـال: «وهـو أول مـن أجـاز لي الرواية، وقـد اجتمعت معـه في رجوعي مـن مكة المشرفة بغـرة محرم الحـرام سـنة ١٢٠٥هـ».[2]

عـمان: مـن الطـرق التـي كان يسـلكها أهـل عُـمان للحـج الطريق يمـرّ عبر الأحسـاء إلى نجـد، وهـو عمـدة الطـرق المعـروف بطريـق البريمـي بـين عـمان والأحسـاء، حيث يصـل إقليـم عـمان بأرض نجـد طريق واحد بـري يخرج من نجـد إلى الهفوف بالأحسـاء، ثـم يتجـه جنوبـاً مـارّاً بواحة سـلوى جنـوبي شـبه جزيـرة قطر، ثـم يدخل سـاحل عمان الشـمالي، و أول مـا يلقـي في أرض عمان مـن عمران مدينة أبـو ظبي،[3] وقد قـرّر «لوريمر»

---

١ . البحـران، الشـيخ يوسـف، الحدائق الناضرة في أحـ ـام العترة الطاهرة، حققـه و علق عليه: محمدتقي الإيـرواني، دار الأضواء: بـيروت، الطبعة الثانية: ١٩٨٥م، ٦: ٤٠٦.

٢ . أعلام هجر، مصدر سابق ٢ : ٤٦٨.

٣ . إمارات الساحل و عمان والدولة السعودية الأولى، مصدر سابق: ٤٢.

أنـه يمكن قطع المسـافة بين الهفـوف والبريمـي في عشرة أيام، أمـا القوافل فتقطع المسـافة في مدة شـهر.[1]

وتعتـبر واحـة البريمي عمـدة طرق عمان لأنـه بوابته البريـة إلى وسـط و شرق الجزيرة العربيـة، وهـذا مـا يؤكّـده الجغرافي القديـم الشـهير بابـن السـباهي زاده (ت ٩٩٧ هـ) في كتابـه: «اوضح المسـالك» حيـث يقول:

«وليـس مـن العـارض ولا مـن اليمامة طريـق إلى عـمان، بـل الطريق من العـارض إلى الأحسـاء و القطيف ثم يسـير الإنسـان من الأحسـاء والقطيف على السـاحل إلى عُمان».[2]

ولعـلّ ما يميّـز هذا الطريق أنـه خاضـع للحماية العثمانية وحكاّم نجد من السـعوديين وآل رشـيد، مقابـل بعـض المبالـغ المالية، كـما أنّ الحكومـات المتعاقبة على حـ ـم الأحسـاء كانـت تأخـذ طريـق الحـاج بعـين الأهميـة والعنايـة مـن قطّـاع الطـرق، لـذا كان يفضلـه الكثـير مـن حجّـاج الهنـد والعجم وغيرهـم، إضافـة للمناطق القريبـة من الأحسـاء. أما طريـق الحـجّ العـماني الـذي يسـلكه حجـاج عُـمان إلى المشـاعر، فأحدهما يتجه مـن عمان عـبر البريمـي ثـم إلى يبرين، ثـم إلى البحريـن، ومنهـا إلى اليمامة، ثـ إلى ضرية.

وتشـير المصـادر الجغرافيـة إلى أنّ «ضريـة» كانت ملتقـى حجاج البصـرة والبحرين، حيـث يفترقـون بعدهـا إذا انصرفـوا مـن الحـج، فيتجه حجـاج البـصرة شـمالاً وحجاج البحريـن باتجـاه اليمين، كما كان بإمـ ـان القوافل القادمة من عمان اجتياز منطقة الأحسـاء لتلتقـي بطريـق اليمامـة مكة المكرمـة، ويتبع أهـل عُمان أهل الإمـارات، سـواء في طريقهم عـبر الأحسـاء أو الطريق السـاحل الخيـار الآخر لهـم لبلوغ مكـة المكرمة.

قطر:

كانـت قطر لسـنوات طويلة على صلـة وثيقة بالأحسـاء، وليس لهم طريـق بري لبلوغ

١ . إمارات الساحل و عمان والدولة السعودية الأولى، مصدر سابق: ٤٢.

٢ . أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، مصدر سابق: ٤٦٢.

مكـة المكرمـة إلّا عـن طريـق الأحسـاء، وهـذا الأمر بقـي إلى اليـوم، حيـث لا يوجد لهم طريـق إلى مكـة مسـتقلاً، وإنما يأتـون إلى الأحسـاء، ومنهـا يتجهـون إلى الديار المقدسـة، أمـا في الركـب الأحسـائي و في حمايتـه، أو مسـتقلاً بعـد أن يتم التـزوّد و أخـذ المؤونة من الإحسـاء؛ لتنطلق مسـيرتهم عـبر اليمامة.

الكويت:

تعتـبر الكويـت مـن أيـالاة التابعـة لأيالة الحسـا والتـي سـبقت الوجود العثماني سـنة ٩٥٧هـ ، وقـد لعبـت دوراً مهـمّاً في تسـيير الحجـاج إلى الديـار المقدسـة لـواء البادية، الـذي كان يتـولّى زعامتـه أمـراء من بنـي خالد، حيـث كان م انهـم في الجهة الشـمالية من الأحسـاء، ويشـمل أجـزاءً واسـعة مـن الكويـت وصحـراء الصمّان.

وقـد كانـت الدولـة العثمانيـة تجـزل لهـم العطـاء، وكان الغـرض عنـد العثمانيـين من تأسـيس هـذه الإيالـة هـو عملية جذب هـذه الزعامـ ت إلى الحكـم العثـماني، وإشراكهم في الحفـاظ عـلى اسـتقرار الأوضـاع فيها.

إضافـة إلى السـيطرة عـلى القبائـل المتنقلـة ومنـع تهديدهـا، ومنـع تهديدهـا لطـرق المواصـلات سـواء التـي إلى البـصرة أو الديـار المقدسـة.[1]

لـذا مـن المحتمل أنه تـمَّ إقامة حاميـة عثمانيـة في الكويت يقيم فيهـا أمير لـواء البادية، أو أحـد أتباعـه و ذلـك للحفاظ على أمن وسـلامة المواصلات تنفيذاً لمتطلبات السـلطات العثمانية.[2]

وكان مـن أمـراء هـذا اللـواء آل عريعـر زعـماء قبيلـة بنـي خالـد، وتعاقب عليـه عدد مـن الأمـراء منهم: سـعدون بن حميـد (قبل ٩٧٦هـ) العثمانيـون في شرق وشـبه الجزيرة العربيـة، مصـدر سـابق: ٣٠٧. ابن حميد (غير سـعدون)، (٩٨٣هـ)، سـعدون بكي و هو

١ . العثمانيون في شرق وشبه الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٣٠٧.

٢ . م.ن. : ٣٠٨.

غير سعدون الأول (٩٨٤ ـ إلى بعد ٩٩٢ هـ)، براك بن حميد (١٠٧٢ هـ)،[1] وغيرهم.

كذلك الحجاج الكويتيون استفادوا من الوجود الخالدي لإيصالهم إلى الحج مقابل مبلغ من المال، و ذلك عن طريق صحراء الصمان ومنه إلى نجد في طريق حاج الأحساء، الذي تشمله الدولة العثمانية برعايتها و متابعتها خلال القرن العاشر، ثم استمر نفس الأمر و الوضع في القرن الحادي عشر بعد أن آل الحكم في الأحساء إلى بني خالد أنفسهم.

فكان ضمن موكبهم معظم حجاج الكويت بمختلف أطيافهم و أصولهم العرقية أو الجغرافية.

وتبعاً للحجاج القادمين من إيران والعراق كان حجاج الكويت يستأجرون عمال بني خالد المتواجدين في كوت الخوالد، وهي قلعة صغيرة، لحر استهم أثناء رحلات الحج التي كانت محفوفة بالمخاطر و عمليات النهب والسلب من قبل أهل البادية وقطّاع الطرق، لأن بني خالد كانوا مسيطرين على مناطق شاسعة من الجزيرة العربية فإنهم كانوا يقومون بهذه الخدمة لقاء أجر مادي.[2]

ب دفارس:

اعتمد العجم درب الحاج الأحسائي كأحد أهمّ الطرق للوصول إلى الديار المقدسة لما يتمتع هذا الطريق عن غيره من الطرق بالقصر والأمن التي كانت تسـ ى الحكومات المتعاقبة على الأحساء على توفيره للحاج، وهذه العلاقة تمتد إلى أقدم العصور، عرفنا منها ما يرجع إلى بدايات القرن التاسع الهجري، مما يعني أنّ العلاقة كانت قبل هذا التاريخ من القرن الثامن الهجري، منها ما وقع في أحداث سنة ٨١٣هـ حجّ من عراق

١ . العثمانيون في شرق وشبه الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٣٠٨.

٢ . جمال، د. عبدالمحسن يوسف، لمحات من تاريخ الشيعة في الكويت (من نشآة الكويت إلى الاستقلال)، دار النبأ للنشر: الكويت، الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م: ٦٣.

العجم جماعة عـن طريق الأحسـاء والقطيف.[1]

إذ كلمـة (عـراق العجـم) يطلـق سـابقاً عـلى عـراق العجـم منطقـة جغرافية تشـمل الأراضي الواقعـة شرق (عـراق العـرب) بـما في ذلك مدن مثـل إصفهان والـري وقزوين و كرمانشـاه و تعـرف هـذه المنطقـة أيضاً باسـم إقليم الجبـال تتضمن هذه المنطقـة المناطق الجبليـة الكرديـة والفارسـية و الآذريـة، وذلـك خلال تلك الفـترة ما بين القرنـين الحادي عشر والسـادس عـشر ميلادي.

كـما كان يطلـق اسـم العـراق عـلى المنطقتـين عـراق العـرب (المنطقـة السـهلية عـلى حـوض نهري دجلة والفـرات)، وعراق العجـم (المنطقة الجبلية) تسـمية أرض العراقين، ويفصـل بـين المنطقتـين سلسـلة جبال زاگـروس.[2]

وفي سـنة ٨١٤هــ لم يحجّ العراقيون بركـب، وحج منهم ناسٌ قليل من شـيراز وغيرها مـن طريق الأحسـاء والقطيف، ضمن حجّـاج البحرين الذي يتولى حراسـته بنو عقيل.[3]

وقـد اسـتمر الركـب الأحسـائي هـو مـن يتـولى توصيـل الحجـاج العجـم ففي سـنة ٨١٥هــ، ولم يحـج العراقيـون سـوى مجموعـة قليلـة منهـم مـع حجّـاج البحرين.[4]

مـع احتماليـة أن يكـون أمير الحاج الشـيخ زامل بن حسـين بن جـبر أول أمـراء الدولة العقيليـة من سـنة ٨٢٠ إلى سـنة ٨٦٦هــ. و لعل ذلك قبـل توليه الحكم.

وينقل على لسان محمد بن الحسن الحر العاملي قوله:

«وفي سـنة ١٠٨٧ هــ، أخـذت الأعـراب حجـاج العجم في طريق الحسـا (الأحسـاء) بعـد مـا حجّـوا و فُقِـدَ منهـم خلـقٌ كثـير، و كان فيمـن فُقِـد أخـي الأصغر الشـيخ علي،

---

١ . الدرر الفرائد المُنظَمة في أخبار الحاج و طريق مكة المعظمة، مصدر سابق ١ : ٤٣٣ .

٢ . موسوعة ويكبيديا الإلكترونية.

٣ . الدرر الفرائد المُنظَمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، مصدر سابق ١ : ٤٣٤ .

٤ . م. ن.

وَسَلَم أخي الأكبر الشيخ محمد، وكان قد مضى على طريق البحرين، ومعه ملا خليل القزويني الأخباري و جماعة»،[1] في إشارة إلى أنّ أخاه كان ضمن حجّاج العجم الذين سـ وا لمكة المكرمة عبر الأحساء، فَفُقِد أخوه فيمن فقد، نتيجةً للظروف الصعبة لطريق الحاج.

حجاج الهند: كان حجاج الهنود يذهبون إلى الديار المقدسة من خلال عدّة طرق، منها عن طريق البحر من خلال ميناء جدة لقربه من مكة وأقل خطورة من غيره، ومنها طريق اليمن عدن حيث يأتون ضمن الركب اليمني، و تارة يأتون مع حجّاج فارس عن طريق البرّ مع حجّاج بلاد فارس مروراً بالعراق حيث يكونون ضمن ركب الحجّ العراقي على درب زبيدة.

ومن هذه الطرق التي يسلكونها عن طريق العقير حيث يذهبون مع الركب الأحسائي المنطلق إلى الحج، وكان هذا حال العديد من حجاج الهند كما تؤكده المصادر، ففي سنة ٩٨٠هـ، تذكر المصادر العثمانية عن أهمية ميناء العقير، والدور الذي يؤديه في خدمة الحاج، حيث كان هو الميناء الرئيس في إيالة الأحساء، لاستقبال الحجاج القادمين من الهند، وكافة المناطق الواقعة إلى الجنوب الشرقي للخليج [الفارسي] تقريباً.[2]

الباب الثالث: موكب الحج الأحسائي، دوره وإسهاماته، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الاوّل: أمراء الحاج الأحسائي.

الفصل الثاني: الرفادة والأعطيات لأهالي الحرمين الشريفين.

الفصل الثالث: كسوة الكعبة تصنع في الأحساء.

---

١ . المصطفى، حسين علي، أعلام الشيعة في الحجاز من القرن الثالث إلى القرن الحادي عشر، دار المحجة البيضا: بيروت، أطياف: القطيف، الطبعة الأولى: ١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م ١: ٦٤.

٢ . العثمانيون في شرق وشبه الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٢٨٨.

الفصل الأول: أمراء الحج الأحسائي، تعريفات و مصطلحات:

مـن خـلال المصـادر التاريخية فإننا نجـد أنه تم إطـلاق مجموعة مـن المصطلحات على قافلـة الحج الإحسـائي، قد تختلـف في المعنى حيناً، وقد تتشـابه حيناً آخـر، ولكنها تعطي انطباعـاً بحجم قافلة الحـج التي تـتراوح في الكبر والصغر.

ومصطلحـات فيهـا مـن الدقـة و الجـمال الـشيء الكثير، وتعـد مفتاحـاً لفهـم الواقع وطبيعـة ركـب أو قافلـة الحـج، فلـكل مصطلـح ظلالـه و معانيـه، إضافـةً إلى أن الحركة التاريخيـة أعطـت لكل زمـن لغتـه ومصطلحاتـه المسـتخدمة والمتداولة في عـصره، فمثلاً «المرحلـة والفرسـخ» تعـدّان مـن مقاييـس المسـافات في العصـور القديمـة التـي انعـدم اسـتخدامها اليـوم، ويرد ذكرها في المصـادر، لذا من الضروري كمدخـل و قبل الولوج في الحديـث عـن الركب التعريـف ببعض المعاني اللغويـة، وإليك قائمـة ببعض المصطلحات المستخدمة:

الرّكْـبُ: في اللغـة: ركـب: ركـب الدابـة يركب ركوبـاً: علا عليهـا، والاسـم الركبة، بالكـسر، والركبـة مـرة واحـدة. وكل ما على فقـد ركب وارتكـب، وكل شيء علا شـيئاً: فقـد ركبـه؛ وركبـه الدين، ركـب الهـول واليـل و نحوهما مثـلاً بذلك.[1]

و قـال بعضهـم: الراكـب للبعـير خاصـة، قـال ابـن السـ يت و غـيره: تقول: مـرَّ بنا راكـب، اذا كان عـلى بعـير خاصـة، فـإن اتيـت بجمع يختـص بالإبـل، لم تضفـه، كقولك ركـب وركبـان، لا تقـل: ركب إبـل، ولا ركبان إبـل، لأن الركـب والركبـان لا يكون إلّا لـركاب الإبـل. غـيره: وأما الركاب فيجـوز إضافتـه إلى الخيل والإبل وغيرهمـا، كقولك: هـؤلاء ركاب خيـل، و ركاب إبل.

والركـب ركبـان الإبل، اسـم للجمع؛ قال: وليس بتكسـير راكـب. والركب: أصحاب

١ . ابـن منظـور، جمـال الديـن الأنصـاري، لسـان العـرب، دار صـادر: بـيروت، الثالثـة: ١٤١٤هـ ١ : ٤٢٨.

الإبـل في السـفر دون الـدواب؛ وقال الأخفـش: هو جمع و هم العشـرة فما فوقهم.

قال تعالى: ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾.[1]

وقال ﷺ: «سيأتيكم ركيب مبغضون، فإذا جاؤوكم فرحبوا بهم».[2]

ومـن هنـا اشـتق المصطلـح مـن ركـوب الدابـة والاعتـلاء عليهـا، ويطلـق المفـرد (الرَّكْـبُ)، عـلى المجمـوع، فيقـال لهـم (رَكْـبُ).

في اصطـلاح: لفـظ يُطلـق عـلى العشرة فـما فوق مـن رُكبان الإبـل و الخيل في السَّـفر، وقـد تعـارف أهـل مكـة إطلاقهـا عـلى الوفـود القادمـة من خـارج مكـة، ومنهـا الركب الأحسـائي وركـب عقيـل والركب المـصري والركـب الشـامي و هكذا.

قافلـة:

في اللغـة: سـميت القافلة قافلة تفـاؤلاً بقفولها عن سـفرها الذي ابتدأته، قـال: وظن ابن قتيبة أن عوام الناس يغلطون في تسـميتهم الناهضين في سـفر أنشـؤوه قافلة، وأنها لا تسـمى قافلـة إلّا منصرفـة إلى وطنهـا، وهـذا غلـط، مـا زالـت العـرب تسـمى الناهضـين في ابتداء الأسـفار قافلـة تفـاؤلاً بأن ييسـر الله لها القفـول، وهو شـائع في كلام فصحاتهـم إلى اليوم.

والقافلـة: الرفقة الراجعة من السـفر. ابن سـيده: القافلة القفال، إمـا أن يكونوا أرادوا القافـل أي الفريـق القافل فأدخلوا الهـاء للمبالغة، وإمـا أن يريدوا الرفقـة القافلة فحذفوا الموصـوف وغلبـت الصفـة على الاسـم، وهو أجـود، وقد أقفلهـم هو وقفلهـم، وأقفلت الجند مـن مبعثهم.[3]

القفـل: القفـول: الرجـوع مـن السـفر، وقيل: القفـول رجـوع الجند بعد الغـزو، قفل القـوم يقفلـون، بالضم، قفولاً و قفـلاً؛ و رجل قافل من قوم فقال، والقفل اسـم للجمع.

---

١ . سورة الأنفال: ٤٢.

٢ . لسان العرب ١: ٤٢٩.

٣ . م. ن. ١١ : ٥٦١.

التهذيب: و هم القفل بمنزلة القعد اسم يلزمهم. والقفل أيضاً: القفول. تقول: جاءهم القفل والقفول، واشتق اسم القافلة من ذلك لأنهم يقفلون، وقد جاء القفل بمعني القفول؛ قال الرّاجز:[1]

علباء أبشر بأبيك والقفل أتاك إن لم ينقطع باقي الأجل

وقد عرف في المصادر التاريخية باسم«قفل عقيل» عند رجوعها من الحج، كما شاهدناه في العديد من مواضع تاريخ الحاج الأحسائي.

المَحْمِلْ:

محمل أي موضع لتحميل الحوائج. وما على البعير محمل من ثقل الحمل،[2] والمحمل، بفتح الميم: المعتمد، يقال: ما عليه محمل، مثل مجلس، أي معتمد. وفي حديث قيس: «تحمّلت بعليّ على عثمان في أمر».[3]

قال الشاعر:[4]

توخّاه بالأظلاف حتى كأنّما يثير الكباب الجعد عن متن محمل

ويقال له الهودج، وكان في مواسم الحج يطلق على هيكل مغطي بقماش محملي أخضر كتبت عليه بالقصب آيات من القر ن يحمله جمل مزركش بأنواع الأقمشة والجلود و خيطت عليها الأصداف الصغيرة والمرايا، و كان يرافق المحمل أمير الحج.[5]

---

١ . م.ن. ١١ : ٥٦٠.

٢ . م.ن. ١١ : ١٧٦.

٣ . م.ن. ١١ : ١٧٦.

٤ . م.ن. ١٠ : ٢٤٣.

٥ . انظر العبد، حسن آغا، تاريخ حسن آغا العبد «قطعة منه» حوادث سنة ١١٤٦ هـ إلى سنة ١٢٤١ هـ، تحقيق: يوسف جميل نعيسة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي: دمشق، الطبعة الأولى: ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م: ١٣١، حاشية رقم ١.

الموكب: في اللغة: الموكب: بابه من السير. وكب وكوباً و وكباناً: مشي في درجان، وهو الوكبان. تقول: ظبية وكوب، و عنز وكوب، وقد وكبت تكب وكوباً؛ ومنه اشتق اسم الموكب؛ قال الشاعر يصف ظبية:

لها أم موقفة وكوباً بحيث الرقو مرتعها البرير

والموكب: الجماعة من الناس ركباناً ومشاةً، مشتق من ذلك؛ قال ابن قيس الرقيات:

ألا هزئت بنا قرشية يهتز موكبها رأت بي شيبة في الرأس مني ما أغيبها

والموكب: القوم الركوب على الإبل للزينة، وكذلك جماعة الفرسان. وفي الحديث: «أنه كان يسير في الإفاضة سير الموكب».

الموكب: جماعة ركبان يسيرون برفق، وهم أيضا القوم الركوب للزينة والتنزه، أراد أنه لم يكن يسرع السير فيها. وأوكب البعير: لزوم الموكب. وناقة مواكبة: تساير الموكب. وفي الصحاح: ناقة مواكبة، للتي تعنق في سيرها.[1]

ركاب الإبل للزينة، والموكب الجماعة من الناس يسيرون ركباناً ومشاةً في زينة أو احتفال. والجمع: مواكب، وقد استخدمت هذه اللفظة بإطلاقها على جموع الحجيج القادمة إلى مكة المكرمة، وهي من المصطلحات التي أطلقها المؤرخون على قوافل الحجيج القادمة من الأحساء.

وقد وقع اختيارنا على استخدام (المَوْكِبُ). لأنه من المصطلحات الدارجة، والأكثر شيوعاً عبر العصور، وكان يطلق على الجموع الكبيرة الذاهبة إلى الحج.

الموكب الأحسائي ، ضخامة الموكب: وردت مجموعة من الإشارات التي تؤكد عظم وضخامة الموكب الأحسائي للحج، يمكن معرفتها من خلال الصور والمشاهد

١ . لسان العرب ١ : ٨٠٢.

التـي كتب عنهـا مؤرخـو الحجاز:

فالمـؤرخ السـخاوي في تاريخـه (الضـوء اللامع) ضمن حوادث سـنة ٨٢٣هــ، يذكر قافلـة (بنـي عقيـل) حـين مغادرتها الحجـاز بعد أداء مناسـك الحـج، وأنها عائـدة إلى بلاد البحريـن،[١] ممـا يوكـد أهميـة الموكـب العقيلي في موسـم الحـج وأن لوجوده حظـوة، فأرّخ خروجهـم لمعرفتـه بثقـل وكيـان الركـب، في إشـارة لما لهـذا الموكـب مـن منظـر مهيـب ومكانـة في مكـة بحيث يـؤرخ ويكتـب عنه.

كـما تمثّـل هـذه الجمـوع الغفـيرة مـع الحـج العقيـلي كنـوع مـن الحـرص عـلى تأمـين الطريـق مـن القبائـل التـي على طـرق القوافـل التجاريـة، و دليل عـلى القيمة الماليـة التي تحملهـا تلـك القوافل وقيمـة بضائعها، واعتبارها مصدراً رئيسـياً، من المصـادر التي تعزز اقتصاد سـلطنة الجبـور ببـلاد البحرين.[٢]

ويـأتي حجـاج البحريـن في مجاميع كبيرة بقيـادة الأمير أجـود الذي أكثر مـن الحج كما اشرنـا سـابقاً فيـأتي مكـة بـالآلاف، وإذا وصـل مكة فإنـه يغدق على مـن في مكـة بالبذل والعطـاء،[٣] وذلـك أنَّ الأمـير أجـود بن زامـل حرص منذ تولّيـه السـلطة في البحرين على الذهـاب إلى الحـج في كل عـام ضمـن موكب كبـير، ففي سـنة ٨٧٦هـ، ذهـب إلى الحج، و كان معـه أعـداد كثـيرة جـدًّا،[٤] وهـي كلمـة توحـي أنّ العدد مـن مرافقيه بلـغ عشرات الآلاف، أمـا الألـف و الألفـين لا يطلق عليها «كثـير جدًّا».

ويؤكـد ذلـك أنـه في سـنة ٨٩٣هــ و حج الأمـير أجود بـن زامل، في نحو خسـة عشر ألفـاً مـن الرجال، دون النسـاء، ولكبر العدد وحاجته لمكان واسـع للجلـوس والتوقف

---

١ . الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مصدر سابق ٩ : ٢٥٦.

٢ . تاريخ البحرين و شرق الجزيرة العربية، مصدر سابق : ٤٦٧ـ٤٦٨.

٣ . الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين السخاوي ١ : ١٩٠.

٤ . إم رة الحج في عصر الدولة المملوكية و... بمكة المكرمة مصدر سابق: ٢٠٢.

نزلـوا في المُحنا قـرب حراء.[1]

وفي إشـ رة أخـرى تذكرهـا المصـادر التاريخيـة تعـود لسـنة ٨٩٦هــ، عـن الصعوبـة التـي يعيشـها الحـاج ممـا يضطـره أمـراء الحـاج إلى إلغاء الحـج في بعـض الأعـوام حفاظاً عـلى الأرواح والأنفـس، فيكـون ضرب المثـل بالمواكـب الكبـيرة التـي يشـار لهـا بالبنـان وحضورهـا موثـر في الحـج

فـكان ممن تخلـف عن الحـج في هذا العـام حجاج الشـام والعـراق،[2] والمغاربـة وابن جـبر،[3] فقـد قـرن أهميـة الركـب الجـبري المنطلق مـن الأحسـاء، بأهميـة الركـب العراقي والأعاجـم مـن الأتـراك والمغاربـة الذيـن يكـون لفقدهـم أثر في الحـج لما يتركـوه من أثر مـن عطايـا وأعـداد كبيرة يأتـون بها.

وهـذا ليـس بغريـب فقـد حـج أجـود بـن زامـل عـام ٩١١هــ في جمـع يزيـدون على الثلاثـين ألفـاً،[4] وهـذا عـدد كبـير إذا جـاء في مجموعـة واحدة موكـب واحد، وهـذا نابع لمـا أشرنـا سـابقاً أنَّ موكب الحـج الأحسـائي، يضـمّ الكثير من حجـاج البحريـن وعمان والأعاجـم والهنـد، وغيرهـم ممـن يأتـون في طريـق الحـج الأحسـائي يحجـون بحجـه ويرحلـون برحيله.

وقـد اسـتمرت هذه الجمـوع الكبيرة تأتي من الأحسـاء ومـا حولها بأعـداد كبيرة حتى بعـد زوال الدولـة الجبريـة لأن الأمـر مرتبـط في الغالـب بعـدد الحجيـج وليـس بالدولـة

١ . أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، مصدر سابق ١ : ٤٧٦ .

٢ . الأعاجم الذين تعود أصولهم إلى بلاد الروم (آسيا الصغرى)، معجم البلدان ٣ : ٩٣ ـ ١٠٠ .

٣ . بلـوغ القـرى في ذيـل إتحـاف الورى بأخبـار أم القرى، عز الديـن عبدالعزيز بن عمر بـن فهد القرشي المكـي القسـم الثاني من سـنة (٨٩٦ـ٩٠٩هــ) دراسـة وتحقيق، رسـالة مقدمة لنيل درجة الماجسـتير في التاريـخ الإسـلامي بجامعـة أم القـرى، إعداد الطالب: عليـان بن عبد العالي بن عليـان المحلبدي، إشراف الدكتـور ضيـ الله بن يحيى الزهـراني ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، غير منشـورة ١ : ٣٠٨.

٤ . التاريخ السياسي لأمارة الجبور، مصدر سابق: ٦١ .

الجبرية، فنجد الحجيج بعد زوال دولة بني جبر قدموا مع الشيخ راشد بن مغامس حاكم البصرة والذي استغل ضعف بني جبر فبسط نفوذه على الأحساء، فقد حج بجمع كبير يقال نحو عشرين ألف حاج، وكان دخولهم لمكة في سابع ذي الحجة ونزلوا عن جبل حراء.[1]

وهنا إشارات مهمة على عظم ركب الحج القادم من الطريق الأحسائي وهي:

«من الشرق»: تعبير عن القادمين من طريق الأحساء أي شرق الجزيرة العربية، ثم يقول: «جمع كبير»: إشارة إلى الأعداد التي تحج على حجهم، وبالطبع هي ليس من الأحساء وحدها، وإنما من مختلف المناطق المحيطة والقادمة من الخارج.

«نحو عشرين ألف نفس»،[2]: وهي قياساً لتلك الظروف وتلك الأزمنة تعد أعداداً كبيرةً جدّاً وتشكل منظراً مهيباً في الوسط المكي.

«وكان دخولهم لمكة في سابع ذي الحجة»: وهنا إشارة إلى أن دخولهم مكة من الأمور الملاحظة والمشهودة التي تلفت النظر، ولا يمكن التغافل عنها.

وعن موكب،[3] الحاج الأحسائي في القرن الثاني عشر يقول عبد الغني بن إسماعيل النابلسي (ت١١٤٣هـ)،[4] وهو يتحدّث عن عظمته فيقول: «إذا أشرف الإنسان من

---

١ . قوافل الحاج المارة بالعارض، نفس المصدر: ٨١.

٢ . م.ن. : ٨١.

٣ . كلمة ركب كانت بمعروفة لدى أهالي الحجاز، فقد كانوا يطلقون على قافلة الحج القادمة من بغداد ركب بغداد، أو ركب العراق أو ركب الشام وهكذا. راجع: بشاوري، إعداد الطالبة: سامية محمد أسعد، إمارة الشريف غالب بن مساعد في مكة ١٢٠٢ـ١٢٢٨هـ الموافق ١٧٨٧ـ١٨١٢م، إشراف الأستاذ الدكتور محمد سعيد شعفي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير بجامعة الملك سعود بالرياض سنة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، غير منشورة: ١٠٠.

٤ . هو الشيخ عبدالغني بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل النابلسي الدمشقي الحنفي القادري النقشبندي، من أعلام القرن الثاني عشر، وهو عالم و أديب ناظم صوفي (١١٤٣هـ)، قام بهذه الرحلة سنة ١١٠٥هـ، وقد انتهى من كتابتها سنة ١١١٠هـ

جبـل أبي قبيـس لا يـرى جميـع مكـة بل يـرى أكثرهـا، وهي تسـع خلقـاً كثـيراً خصوصاً في أيـام الحـج، فإنـه يـرد إليها قوافـل عظيمة من مـصر والشـام وحلب و بغـداد والبصرة والحسـا ونجـد و اليمن».[1]

حيـث قـارن النابلسي بين موكـب الحج الأحسـائي بمواكـب الحج الكبيرة المشـهورة القادمـة من مصر والشـام والعراق واليمن، في إشـارة إلى أن موكب الحج الأحسـائي كان يشـكّل علامـةً فارقـةً في صفوف الحجيج لكثـرة من فيه، مـا جعلته يقـف في مصافّ هذه المواكـب الكبـيرة والبـارزة والتي تعد أضخـم المواكب التـي ترد مكة.

١ . النابلـسي، عبـد الغني بن إسـماعيل (ت١١٤٣هـ)، الحقيقـة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشـام ومصر والحجـاز، تقديـم وإعـداد: د. أحمـد عبدالمجيـد هريـدي، الهيئـة المصريـة العامـة لكتـاب: القاهـرة، الطبعـة الأولى: ١٩٨٦م: ٤٤٧.

مهام أمراء الحاج الأحسائي:

التعريف: «أمير الحاج الأحسائي» هو الأمير المنتخب أو المشرف المعيّن على قيادة ركب الحاج إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة والعودة بهم سالمين غانمين، وهي شخصية مهمة في ركب الحج، وتعدّ الشخصية الأولى فيه، ويتم اختيارها من قبل أعلى سلطة في الدولة.

وهذه الشخصية المحوريّة في الركب يجب أن تتمتّع بمواصفات خاصّة ومهارات معيّنة وقدرات فائقة يتم على ضوئها إسناد المهام الجسيمة لها وإيكال جميع المسؤوليات والأمور الطارئة إليها، لهذا يتم تحرّى الدقة في اختيار أمير الحاج، وذلك حرصاً على سلامة الحجيج وأمنهم و تذليل الصعوبات والمخاطر التي تواجههم، سعياً إلى إنجاز رحلتهم وإنجاز فرضهم الخامس وهو الحج.

قال صاحب الفروع: «يعتبر في ولاية تسيير الحاج كونه مطاعاً ذا رأي وشجاعة وهداية، وعليه جمعهم وتربيتهم وحراستهم في السير والنزول، والرّفق بهم، والنُصح، ويلزمهم طاعته في ذلك. ويُصلح بين الخصمين، ولا يحكـ إلّا أن يُفوض، فيعتبر من أهله».[1]

وقال الآجري: «إمرة الحج، ولاية سياسية، وتدبير وهداية، لأنها من أجل المراتب الدينية، وأفخم الوظائف السنية، وأمير الركب هو الذي يخبرنا بالوفد في تلك الأماكن الكرام، والمشاعر العظام، والمتلبس بفرض شعائر ظاهرة في الإسلام، فدخل بها المرتبة الشريفة فوق النيّرين، وعلا محَله على السَّماكين، وناب عن الإمام الأعظم في خدمة الحرمين الشريفين».[2]

وقد عرّفه على كامل قائلاً: «من يأخذ على عاتقه تأمين طريق قافلة الحج من

١ . الدُرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، مصدر سابق ١ : ١٣٣ .

٢ . م. ن.

هجمات البدو، وتأمين المؤون وكافة المستلزمات الأخرى لوصول قافلة الحج إلى بيت الله الحرام في الوقت المحدد لها».[1]

مهام أمير الحاج: تعدّدت الأقوال في المهام المنوطة بهذه الشخصية المحوريّة في موكب الحج، وهذه المهام وإن اختلفت فإنها متشابهةٌ في المضمون، ففي كتاب (إمارة الحج في العصر العباسي) يقول المصنّف: «إقامة الحج وتنظيم وتيسير سير قافلة الحجيج والعمل على تذليل الصعوبات أمامها حتى يصبح سفرها ميسوراً حين تقصد الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج، بالإضافة إلى تولي أحداث الموسم».[2]

وعليه ومن خلال ذل يمكننا أن نستخلص مهام أمير الحج في الآتي:

١ـ مهام خلال الطريق:

وهي مجموعة من المهام التي يتولي أمير الحاج إنفاذها ورعايتها خلال الطريق، وهي مجموعة خصال:

الأولى: جمع الناس في سفرهم ونزولهم:

إذ من المهام المنوطة به جمع الناس أثناء المسير إلى الحج والحفاظ عليهم من الضياع والشتات، فكثير ما يفقد الحجاج أثناء نزولهم في المنازل التي يسلكها طريق الحاج نتيجة الغفلة وعدم الانتباه من أمير الحاج أو إهماله في متابعة شأنهم، فكان من مسؤولياته أن يحافظ عليهم من الشتات والتفرق بعيداً عن مقر الموكب و وجود مركز الحاج، وقد شهد التاريخ الأحسائي وفاة عدد من الحجاج نتيجة النسيان في بعض منازل الطريق ومراحله، وذلك لنوم بعض الحجاج أو ذهابه لقضاء الحاجة، فيتحرك

١ . إمـ ة الحج العراقي في عهدي حسن باشا وأحمد باشا (١٧٠٤ـ١٧٤٧م)، علي كامل حمزة السرحان، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مجلد ٢ العدد ١ حزيران ٢٠١٢م: ٩١.

٢ . إمارة الحج في العصر العباسي خلال الفترة (١٢٣ـ٢٤٧هـ)، مصدر سابق: ٢٦.

الركـب دون الشـعور بفقده.

الثانية: ترتيبهم في المسير والنزول:

يتـولى أمـير الحـاج ترتيـب السـير والمنـازل التـ يحل بهـا ركب الحـاج خـلال فترات الطريـق، فمـن شـأنه أن يعـين محـل نومهـم، ومـكان سـكناهم، وترتيـب حوائجهم من المـأكل وغـيره، ويعـد من التقصـير بواجـه إذا تخلف عـن تلك المطالب خاصـة وأن الحاج في الغالـب يكـون جاهـلاً بالطريـق والمناطـق التـي يسـلكها ركـب الحجيج، ويكـون قد وضـع ثقلـه وحملـه وثقته بأمـير الحـاج، معتمداً عـلى خبرتـه ودرايته.

الثالثة: أن يرفق بهم في المسير:

تختلـف إمكانيـات الحجـاج مـن شـخص إلى آخـر، فمنهـم الشـاب القـوي، ومنهـم الشـيخ الكبـير، وهنـاك مـن يذهـب سـيراًعلى قدميه، وهنـاك من يمتلـك الراحلـة التي تقلـه في المسـير، إضافـة إلى إمكانيـات وقـدرة المـرأة، تختلـف عـن قد وتحمـل الرجل.

ومـن هنا تحتـم على أمير الحـاج أن يراعي في سـير القافلـة التمايـزات والاختلافات في ركـب الحجـاج ولا يرهقهـم بما يتجـاوز قدرتهم وطاقتهـم، وكلما كانت القافلـة أكبر كلما كان سـيرها أبطأ وأثقل.

وقـد شـهد الموكـب الأحسـائي تباينـات في الأحجـام ففي بعـض الفترات بلـغ عدد الركـب الأحسـائي خمسـين ألفـاً، كـما أنـه يتشـكل مـن الحجـاج الأحسـائيين والمناطـق السـائرة للحـج على طريق الأحسـاء؛ كبعـض الإيرانيين والهنـود والبحريـن وقطر وعمان والإمـارات وغيرهـا ممـن تفضل طريـق الأحسـاء في ذهابهـا للحج.

الرابعة: أن يسلك بهم أوضح الطرق وأحسنها:

لاتتحـرك القافلـة للحـج إلّا بوجـود دليـل أو أكثـر مـن خبـير بطـرق الحـج مـن جهة الـشرق للجزيـرة العربيـة إلى اليمامـة، ومـن ثـم إلى بـلاد الحجـاز، وذلـك بنـاءً على عوامـل عديـدة، منها كون موسـم الحج في الشـتاء أو الصيف، توفر الآبـار في بعضها دون

آخر، كون الطريق مأموناً من اعتداءات البدو عن غيره، إضافة إلى عوامل أخرى.

وأمير الحاج يفترض أن يتمّ اختياره بناءً على دراية بقدراته و معرفته بطرق الحج المختلفة بلحاظ العوامل المذكورة، أو يعينه من يمتلك الخبرة المطلوبة لتحديد الطريق الأنسب والأمن لمسير الموكب.

وقد شهدت قافلة الحج الأحسائي الكثير من الاعتداءات والسلب والنهب على يد قطّاع الطرق الذين يتربّصون بطريق الحاج منتظرين عبور القافلة عليه لينقضوا عليهم دون رحمة ولاشفقة، وسوف نسرد مجموعة من القصص والمواقف التي تعرضت له قافلة الحج الأحسائي على مدى سنوات عديدة في محله.

الخامسة: أن يرتاد لهم المياه إذا قلّت.

قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ**﴾[1] فـ يمكن أن تستمر مسيرة الحاج دون الماء، لذا حرص العرب على حفر الآبار على الطرق المطروقة، والتي اعتاد الناس سلوكها، إضافة إلى المنازل والمناطق الي يسكنها الناس على طريق الحاج.

لذا يكون الدليل للحاج على دراية بأماكن هذه الآبار والمسافات التي تفصل بينها، فإذا كانت بعيدة لزم عليها أن يعلم الحاج بضرورة التزود بالمياه والاستعداد بالماء الوفير والـ في إلى حين بلوغ المورد الآخر والتي قد تستغرق عدة أيام، وطرق الأحساء يتخللها بعض الصحاري التي ينعدم في بعضها المنازل والآبار لمدة أربع مراحل، وهي مدة طويلة مـ لم يكن الحاج على استعداد لها خاصة إذا كان الحج في موسم الصيف والحر شديد.

السادسة: توفير الحماية والأمن لهم:

البعد الأمني من الأمور التي يعتمد الحاج فيها بشكل كبير على أمير الحاج، وما أحضره معه من استعدادات قتالية وجند لحراسة وحماية القافلة في ذهابها ورجعتها،

١. سورة الأنبياء، الآية رقم: ٣٠.

لما يتطلّبه الأمر من قدرة على الاقتتال، وامتلاك السلاح، الأمر غير مهيأ لمعظم الحجاج الذين معظمهم من الكسبة والناس الوادعين.

وطريق الحج الأحسائي يعتبر بعيداً، قد تستغرق الرحلة في قرابة الشهر في بعض الأحيان، ويتم خلالها العبور في أراضي عدد من القبائل العربية التي قامت معيشتها على سلب الحاج وما تفرضه عليهم من ضريبة كبيرة للعبور خلال أرضها.

وفي الدولة الجبرية نظراً للجانب الأمني وأهميته فإن الحراسة المصاحبة لقافلة الحج والتي يصحبها معه أمير الحاج، تبلغ بالآلاف من العسكر والجنود لمجابهة البدو وقطّاع الطرق التي تعترض طريق الحاج، وقد نشبت بينهم معارك طاحنة كانت الغلبة في بعضها للجيش الجبري وفي بعضها لقطّاع الطرق.

وخلال هذه الفترات التي كان اظفر لقطّاع الطرق قتل العشرات من حجاج بيت الله الحرام وسلبت أموالهم وسبيت نساءهم في أحداث مأساوية انعدمت فيها الإنسانية وانتزعت الرحمة من القلوب.

السابعة: أن يمنع عنهم من يصدهم عن المسير:

وهي نقطة مرتبطة بالمعتدين وقطّاع الطرق الذين في الغالب يمنعون الحاج ويصدونهم ما لم يدفعوا مبالغ ضخمة ليمكنوهم من عبور الطريق، وهي من مهمات أمير الحاج أن يتولى معالجة الأمر بحكمة وعقلانية بالطريقة التي يراها مناسبة.

الثامنة: أن يصلح بين المتشاجرين، ويتوسط بين المتنازعين:

من الأمور التي هي من شأن ومختصات أمير الحاج الحفاظ على أن يسود جوّ الألفة والمحبة والسكينة بين الحجاج، ومنع المشاحنات والبغضاء التي قد تنشب بين جموع الحجيج لما في ذلك من إرباك سير الحج، وهو بعيد كل البعد، عن أهداف الحج التي منها البناء الروحي والسمو النفسي، والتوجّه القلبي نحو الله، وترك التعلق بالدنيا وزخرفها.

وأمير الحاج من أدواره أن يحافظ على إفشاء الجو الروحي في الرحلة الإلهية، ومعالجة المشاكل العالقة نتيجة الاختلافات بين الحجاج والتي ما تحدث عادة نتيجة أمور دنيوية، وإيجاد الحلول المناسبة المبنية على العدل والحكمة.

التاسعة: أن يُقوّم زائغهم، ويُؤدب خائنهم:

أيضاً من الجوانب المهمة المنوطه بأمير الحاج، أن يؤدب من لديه انحرافات سلوكية وأخلاقية، بما يتماشى مع الحكم الشرعـ دون أن يكون في ذلك ظلم أو حيف عليه.

العاشرة: أن يراعي اتساع الوقت:

على أمير الحـ ج بحكم خبرته بالطريق ومـ يحتاجه من وقت للوصول إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج، وأن يكون الحجاج في مكة المكرمة قبل يوم التروية (الثامن من شهر ذي الحجة)، على أقل تقدير، ليتمكن من أداء أعمال عمرة التمتع، ثم الخلود للراحة لبعض الوقت من عناء الطريق وأداء العمرة.

وهذا الأمر يتأتى عبر تقدير المسافة والمراحل التي يحتاج إليها الحاج لقطعها، ثم أخذ الحيطة بإضافة بضعة أيام تحسباً الظروف الطارئة غير محسوبة التي قد تعيق وتعرقل مسير الحاج بمختلف أشكالها.

وهنا تأتي خبرة أمير الحاج وإحسانه في تقدير الأمور، خاصة وأن معظم الحجيج في الغالب تكون هذه حجتهم الأولى، لا يمتلكون أي خبرة أو دراية بأمور الحج وطريقه.

٢ـ مهام خ ل موسم الحج، الأولى: أن يوفر لهم المسكن والمأكل:

مدينة مكة منطقة مترامية الأطراف، ومن يردها يحتاج إلى المأكل المناسب والمكان الذي ينام فيه، وأمير الحاج يفترض قبل كل شيء يوفر للحجاج عند بلوغهم الديار المقدسة المكان والمقعد الذي يستريحون فيه من عناء السفر، ويتم فيه حفظ أمتعتهم وأغراضهم.

وأمير الحاج بحسب إمكانياته و خبرته، بما استلمه من مبالغ من الحاج فإن أحد أولياته توفير هذه الخدمة لهم، والسعي لراحتهم من خلال من حوله من العاملين ومن لهم خبرة واسعة بمكة ومرافقها المختلفة.

الثانية: الحرص على أدائهم مناسكهم بالشكل الصحيح:

وذلك عبر توفير من يقومون بتعليمهم مناسك الحج من رجال علم يصاحبون الموكب، وذلك ابتداءً من الميقات حيث يتم إحرامهم، ومن ثم أخذهم إلى منى للمبيت يوم التروية، وفي اليوم التاسع إلى عرفة ومنها إلى مزدلفة وفي اليوم العاشر إلى منى حيث يتم رمي جمرة العقبة الكبرى، حتى انتهاء أعمال الحج بوجهها الصحيح.

الثالثة: أن يستمع إلى حوائجهم ومسائلهم:

فبصفته قائد الرحلة وأميرها فإن من واجباته أن يصغي لشكواهم وحوائجهم التي تستجد أمامهم في موسم الحج.

من أمراء الحاج الأحسائي:

من الأمور المتعارفة أن يصحب الحاج في طريقهم إلى الديار المقدسة أمير يتولى أمارة الحج والإشراف عليه، والحج الأحسائي، لم يكن موكبه يختلف عن غيره من المواكب الكبيرة التي تتحرّك تحت إشراف أمير يكون عادة إما أمير البلاد أو من ينوب عنه.

وقد سطّرت لنا المصادر عدداً ممن تقلّد منصب إمارة الحاج الأحسائي في الفترات المتعاقبة على حكم الأحساء من دول وكيانات نستعرض جانباً منهم، متناولين خلاله بعض العقبات التي تعترض طريق الحاج، إضافةً إلى ما صاحب خلال إمارته من أحداث مفصليّة وهامة لها علاقة مباشرة بطريق الحاج الأحسائي، وهذه الشخصيات كما يلي:

١ـ الأمير زامل بن حسين بن جبر: (بعد ٨٤٣هـ)

الأمير زامل بن حسين بن جبر، عاش إلى بعد سنة ٨٤٣هـ، وقد قامت دولته على أنقاض الدولة الجروانية بعد انتهاء دولتهم، فأنشأ دولة مترامية الأطراف؛ امتدت إلى سواحل عمان جنوباً، وحتى منطقة الكويت شمالاً، وضمّت أيضاً جزر البحرين وامتد نفوذها إلى شرق نجد، وكانت عاصمتهم في الأحساء.

وكان موكب حجه يخرج بأعداد غفيرة من المناطق التي تحت سلطته، إضافة إلى القادمين للحج مع حجاج الأحساء من العراق وإيران، والحراسة المشددة التي تصحب الموكب لحمايته.

٢ـ الأمير أجود بن زامل: (٨٧٥ـ٩١١هـ)

الأمير أجود بن زامل بن سيف الْعقيلِيّ الجبري العامري القيسي، نسبة لجدّ له اسمه جبر، ولذا يقال له ولطائفته بنو جبر النجدي الأصل المالكي، مولده ببادية الحسا والقطيف في رمضان سنة إحدى وعشرين و ثمانمائة وهو أول من ملك الأحساء من آل جبر في رمضان سنة ٨٢١هـ، و دام ح ه لها حتى آخر المائة العاشرة للهجرة. ويعدّ من أهم رجالات الدولة الجبرية، وقد اتسعت الدولة العقيلية فشملت الأحساء والبحرين وعمان وبلاد نجد، وكان مالكي المذهب.

قامت دولته على أنقاض دولة هرمز التي كانت حاكمة للأحساء والقطيف والبحرين، وذلك في مطلع القرن التاسع الهجري.

وصفه المؤرخ الهندي (نمديهي) في (كنز المعاني) في رسالة إلى الأمير أجود على لسان وزير الدولة البهمنية في الهند قال فيها:

«إلى الشيخ أجود المعروف بابن جبر... بعد حمد الله والصلاة على نبيه، فتشريف التسليمات الطيبات ونفائس التحيات الزكيات، على الملك الأعظم الأكرم الأمير الأفخم الأقدم، مالك البر واليم، حامي العرب والعجم، و مبارز معارك الشجعان،

كـرّار المصـاف بالسـيف والسـنان، وأعـدل ملـوك الأطـراف والأقطـار، وأشـجع ولاة الأزمـان والأعصـار، مفتخـر حجاج بيـت الله الحـرام».[1]

إلى أن يقـول: «قـدوة زوّار النبـيﷺ، المخصـص بعواطف العلي الصمـد، ملك ملوك العرب سـلطان أجود».[2]

إلى أن يختـم الرسـالة بالدعـاء للأمـير أجود بقولـه: «رب كـما وفقته بحمايـة أهل المدر والوبـر، اجعـل طول عمـره إلى يوم الحـشر، بمحمـد و حيدر».[3]

والإشـارة جليـةٌ في دور الأمـير أجود في حمايـة حجاج الهند، وتسـهيل تنقلهم بين مكة والمدينـة، بـل لا يبعـد أن الأحسـاء كانـت مـن طـرق الحاج الهنـود لذا أشـار لهذه السـمة التي لمسـها الحجـاج الهنـود في مرافقتهم للحـج العقيلي المنطلق من الأحسـاء، كمايسـتفاد منهـا مكانة الشـيخ أجـود عندما لقبه «ملـك ملوك العرب». توفي سـنة ٩٠٢هـ، و خلفه في الحكـم ابنه محمد.

٣ـ الأمير محمد بن أجود الجبري: (بعد سنة ٩٠٢هـ)

الأمـير محمـد بـن أجود بـن زامل بـن سـيف العقيلي الجـبري العامـري القيـسي. تولى الزعامـة الجبريـة بعـد وفـاة والـده سـنة ٩٠٢هـ، لُـقِّبَ بسـلطان البحريـن والأحسـاء والقطيـف. حيـث كان عـلى جانب كبير مـن القوة وكثـره الأتباع فقد ذهب إلى الحج سـنة ٩٠٢هـ إلى مكـة عـلى رأس جيـش كثيـف قدر بخمسـين ألـف رجل.[4]

٤ـ الأمير مقرن بن زامل الجبري: (٩٢٢ـ٩٢٨هـ)

الأمـير مقـرن بـن زامـل الجـبري الخالـدي العقيـلي العامـري الهـوازني، هـو حاكـم

---

١ . تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٥٠٠ـ٥٠١.

٢ . م. ن. : ٥٠١.

٣ . م. ن. : ٥٠٤.

٤ . التاريخ السياسي لأمارة الجبور، مصدر سابق: ٧٨.

شرق جزيرة العرب، بما فيها الأحساء والقطيف والبحرين وآخر حاكم الجبور على البحرين، ويعد ثاني أقوى شخصية من حكّام الجبور بعد الأمير أجود بن زامل.

كان أمير الحاج سنة ٩٢٦هـ، ولعدة سنوات قبلها. قائد خاض معركة مع البرتغاليين سنة ٩٢٧هـ، فوقع أسيراً في المعركة، وقد تمت تصفيتُه من قبل القائد البرتغالي أنطونيو كورّيا.

٥ـ الأمير راشد بن مغامس: (كان حيّاً سنة ٩٤٢هـ)

هو الشيخ راشد ابن مغامس بن صقر بن محمد بن فضل، أمير دولة آل شبيب، وشيخ المنتفق، الذين قامت دولتهم على أنقاض الدولة الجبرية في الأحساء بعد سقوطها سنة ٩٣١هـ، فتولى إمارة الحج سنة ٩٣٣هـ، حيث قام في يوم الأربعاء ٧ ذي الحجة بالوصول إلى مكة، يقول بن فهد:

«وتتابع حاج الشرق وفيهم سلطانهم الجديد، وهو الشيخ راشد بن مغامس بن صقر بن محمد بن فضل سلطان البصرة والحساء والقطيف ورفقته خمسة آلاف نفس على رواحل، وبركوا في الأبطح على عادتهم، وكانت ولاية سلطانهم للشرق في سنة إحدى وثلاثين و تسعمائة».[١]

ويتابع بن فهد في حوادث سنة ٩٤٢هـ، في يوم السبت السادس من ذي الحجة ذكر أنه: «وصل لمكة حاج كبير من البحر شاماً ويمناً، وكذا من الشرق ومنهم سلطان البصرة راشد بن مغامس المنتفقي بجمع كبير يقال نحو عشرين ألف نفس، وكان دخولهم لمكة في سابع ذي الحجة ونزلوا عند جبل حراء».[٢]

وهذا إشارة واضحة على تولي الأمير راشد زعامة وإمارة الحج طوال عشر سنوات، وذلك بين عامي ٩٣٣ـ٩٤٢هـ، وكان الموكب يأتي في أعداد غفيرة فقد قال

١ . قوافل الحاج المارة بالعارض، راشد بن محمد عساكر، مصدر سابق: ٨١.

٢ . م. ن. : ٨١.

في نصه: بجمعٍ كبير يقال عنه بنحو عشرين ألف نفس».

كما قال: إن نزولهم عند جبل حراء وذلك نتيجة طبيعة لأعدادهم العظيمة أن يتم تجمعهم ومكانهم خارج مكة ليتسع المكان لجموعهم ويحافظوا على جمعتهم من الشتات والضياع، توفي بعد سنة ٩٤٢هـ.

٦ـ الأمير فيروز شاه قطب الدين: (ت ٩٣٩هـ)

هو فيروز شاه قطب الدين بن تهمتم بن جردن شاه بن طغلق بن طبق شاه، أحد أمراء آل مغامس على هُرْمُز والبحرين والأحساء والقطيف،توفي سنة ٩٣٩هـ،[1] بعد أداءه منسك الحج.

وتولى في آخر سنة من حياته إمارة ركب الحجيج منطلقاً من الأحساء إلى الديار المقدسة.[2]

٧ـ الأمير مبارك المسعفي: (كان حيّاً سنة ٩٤٠هـ)

الأمير مبارك بن راشد المسعفي، هكذا ورد نسبه في المصادر التاريخية، تابع إمارة ال مغامس في الأحساء، ولقب بسلطان الشرق (نجد والأحساء).

كان أميراً للحج الأحسائي سنة ٩٤٠هـ، وكان بصحبة القافلة أقمشة هندية، مما أدى إلى رخص ثمنها، وغيرها من المنتجات في هذه السنة.[3]

٨ـ الأمير بـ ر بن علي باشا: (تول الحكم حدود ١٠٤٣هـ)

الأمير بكر بن علي باشا بن أحمد لاوند البريكي الأحسائي، ينتمي للدولة العثمانية التي حـ مت الأحساء، بخطة محكمة أدت إلى إقالته من قبل الدولة العثمانية وتنصيب ابنه محله سنة ١٠٤٣هـ.

---

١ . الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مصدر سابق ٦ : ١٧٥.

٢ . السنا الباهر بتكميل النور السافر في اخبار القرن العاشر، مصدر سابق: ٢٥١ـ٢٥٢.

٣ . قوافل الحج المارة بالعارض، مصدر سابق: ٧٨.

يقـول (الفاخري) عن حج سـنة ١٠٤٣هـ، وهـو يصف الأعداد الكبـيرة التي جاءت لحـج بيـت الله الحرام من طريق الأحسـاء في منطقة (ركبـه) فيقول: «ظهر حـاج كبير، من الأحسـاء أمـ ـه بكر ابن على باشـا».[١]

حيـث تولّـى إمـارة الحـج بعد والـده، مع اسـتمرار ركب الحـاج الأحسـائي في كثافته وأعـداده الكبـيرة، بمايحتويـه مـن حجاج مختلـف المناطق القادمـة من الـشرق أو عبر ميناء العقير.

٩ـ الأمير علي باشا الحساوي: (كان حيّاً سنة ١٠٩٠هـ)

تـولى إمـارة الحـاج الأحسـائي في العهـد العثـماني الإول على الأحسـاء الذي بدأ سـنة ٩٥٧هـ، وكانت إمارته على الحاج سـنة ١٠٩٠هـ، وقد شـاركه رحلتـه للحج على طريق حـاج الأحسـاء، حجاج بـلاد فارس التابعـون للدولة الصفوية.[٢] وهـو مختلف عن الأمير على باشـا المتقدم.

١٠ـ الأمير الشيخ سعدون الخالدي: (١١٠٣ـ١١٣٥هـ)

الأمـير سـعدون بـن محمـد بن غريـر آل حميـد الخالـدي، ثالـث حـكّام دولة بنـي خالد (١١٠٣ـ ١١٣٥هـ)، تـولّى السـلطة بعـد وفـاة والـده محمـد بـن غريـر آل حميـد. اتصـف بالشـجاعة والقـوة حيث لقب بسـلطان البرّ، وقد بلغ حكـم بني خالد الـذروة في عهد هذا الزعيم من حيث الاسـقرار والاتسـاع ليشـمل نجداً والمناطق الشـمالية إلى الشـام إضافة إلى شرق الجزيـره العربيـة وقـد عم في فـترة حكمه الطويلة الهدوء النسـبي إذ أذعنـت له القبائل و دفعـت لـه الأمـوال مقابل سـماحه لهـم بارتيـاد المراعي الخاضعـة تحت حكمة. يقـول ابن لعبـون في تاريخـه ضمـن أحـداث سـنة ١١١٩هـ: «نزل الحـاج العقيـلي على ثـادق[٣]، ومعه

١ . تاريخ ابن لعبون، مصدر سابق: ١٤٨، تاريخ الفاخري، مصدر سابق: ٨٨.

٢ . خاطراتی از سفرهای حج از دوره صفوي، مصدر سابق: ١٣٥.

٣ . منطقة تقع في الجزء الشمال الغربي من منطقة الرياض.

سعدون بعسكره».[1]

١١ـ الأمير نجم بن غرير: (كان حيّاً سنة ١١١٧هـ)

الأمير نجم بن عبيدالله بن غرير بن عثمان بن مسعود بن ريعة آل حميد من بني خالد، وإلي هذا الأمير تنسب عين النجم بالأحساء، وقد تولى منصب أمير حاج بني خالد عام ١١١٧هـ.[2]

تقلّد إمارة الحاج في الموكب الأحسائي في عهد الشيخ سعدون عام ١١١٧هـ وعام ١١٢٠هـ، وقد مرَّ في طريق العودة على العيينة، يقول ابن ربيعة في تاريخه:

«كما أنها محطة يمكن الاستراحة فيها والتموّن منها، كما حدث عام ١١٢٠هـ، إذ نزلت قافلة الحج الأحسائية العيينة في طريق العودة من مكة، وكان بقيادة نجم بن عبيدالله بن غرير».[3]

١٢ـ الأمير الشيخ عبد الرحمن العفالق: (القرن الثاني عشر)

الشيخ عبدالرحمن بن حسين بن محمد العفالق، من أعلام مدينة المبرز في القرن الثاني عشر، أخذ عليه عددٌ من أعلام عصره، منهم: الشيخ محمد (١١٠٠ـ ١١٦٤هـ)؛ الشيخ منيع بن محمد بن منيع العوسجي النجدي (ت ١١٣٤هـ)،[4]

فقد كان أمير الحاج لدولة بني خالد، وذلك في عهد الشيخ سعدون بن محمد الغرير الخالدي (١١٠٣هـ ـ ١١٣٥هـ)، وذلك ضمن رحلة الحج لعام ١١٢٧هـ،[5]

---

١ . تاريخ ابن لعبون، مصدر سابق: ١٤٥.

٢ . مجلة الواحة، العدد الستون، السنة السادسة عشرة ـ شتاء ٢٠١٠ م. خالد أحمد المغلوث: عين نجم بالأحساء عمران مكان و سياحة استشفاء: ٦٥.

٣ . تاريخ ابن ربيعة، مصدر سابق: ٨٠.

٤ . البدر، أحمد بن عبدالمحسن، معجم أعلام الأحساء من الماضين، غير منشور ٣ : ٤٣٥.

٥ . تاريخ الفاخري، مصدر سابق: ١١٩.

والمصادر لا تذكر تفاصيل إمارته للحجيج وبعض الأحداث المرتبطة بهذه السنة، ولكن الواضح أنّ اختياره بناءً على المكانة الدينية التي نالها وأنه أحد القيادات الدينية في البلاد.

١٣ـ الأمير محمد بن خالد بن آل غريري الخالدي:

فقد كان أمير الحاج الأحسائي سنة ١١٣٢هـ، يقول صاحب كتاب (نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس) المعاصر للدولة الصفوية، وهو يستطرد أحداث سنة ١١٣٢هـ، وزيارة أمير الحاج الأحسائي السلطان حسين: «فلما كان يوم الجمعة تاسع شهر رجب ورد إلى إصفهان أمير الحاج الحسائي الشيخ محمد بن خالد آل غرير، من صوب سعدون شيخ بني خالد، و نزل بمحل لطيف فايح عاطر يسمى (قهوة الناظر) بأعلى حارة (الخاجو)، فأقام عشرة أيام بأصفهان، ثم رحل إلى مدينة قزوين لملازمة السلطان...».[١] إلى أن يقول: «فلما كان ضحى السبت من ثامن شهر شعبان المعظم، عام اثنين و ثلاثين ومائة وألف من هجرة النبي المكرم، لازم أمير الحاج المذكور في قزوين السلطان، رفيع المرتبة والشأن، المشهور في الخافقين، واهب الألوف من صنوف الورق والعين، الملك المؤيد الشاه السلطان حسين، لا زال بجوار ربه قرير العين، صحبة الأمير المكرم ميرزا رحيم الحكيم باشي، أي حكيم الحكماء، والفاضل العلّامة، شيخ الإسلام، الملّا محمدحسين ملا باشي، أي عالم العلماء، فأكرمه وأحسن مثواه، وأجزل صلته وأعطاه».[٢]

وهذه الجزئية ـ رغم أننا سوف نأتي عليها لا حقاً بشيء من التفصيل ـ إلّا أننا سوف نستعرض مجموعة من النقاط الهامة هنا: أولاً: وجود علاقة قوية بين دولة بني

١ . المكي، السيد العباس بن على بن نور الدين الحسيني الموسوي (ت حدود ١١٨٠هـ)، نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس، وضع المقدمة السيد محمدمهدي الخرسان، منشورات المطبعة الحيدرية: النجف الأشرف، الطبعة الأولى: ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م، ١ : ٣١١.

٢ . نزهة الجليس، مصدر سابق ١ : ٣٢٢.

خالـد والدولـة الصفويـة، أو ما يمكن أن نعبر عنـه بتبادل مصالح بينيّـة، فالدولة الخالدية تقـوم بتوصيل حجـاج فارس القادمين عـبر ميناء العقـير إلى الديار المقدسـة وأداء فريضة الحـ و زيارة النبـي صلى الله عليه وآله، ومـن ثـم العـودة عبر نفـس الطريق بعـد توفير الحماية المناسـبة، وفي المقابـل تأخـذ دولـة بنـي خالد الدعـم المـالي المجزي مـن الدولـة الصفوية. ثانيـاً: إنَّ بنـي خالـد ينظـرون إلى هـذا الصديق والحليـف الجديد بعـين الأهمية الكـبرى لدرجة أنّ أمـير الحـاج الخالدي يذهب بنفسـه إلى بلاد فـارس ويرافق الحـاج الإيراني مـن قزوين إلى الأحسـاء ومنهـا إلى مكـة المكرمـة، مما يعنـي أنّ ترتيبات الحـج تكون في فـترات مبكرة قد تسـتغرق عدّة شـهور قبل موسـم الحج.

ثالثـاً: إن هـذه الرحلـة مـن الأحسـاء إلى بـلاد فـارس ليسـت المـرة الأولى وإنـما ربما هـي عـادة قد تكـون اسـتمرت لعدة سـنوات كما سنشـير فيـما بعد، وربـما الاتفاق نفسـه يجـري مـع حجـاج الهنـد وغيرهـم، بحيـث يتم تأمـين الحـاج وإيصالهـم إلى الحـج، ومن ثـم إرجاعهـم لقاء مقابـل مـالي، وهـذا نـوع من سـبل الدعـم التـي كانت تحصـل عليها الدولة الخالديـة لتأمـين احتياجاتهـا الماليـة الأخـرى.

رابعـاً: وجـود مراسـلات كثـيرة بـين الدولة الصفوية والدولـة الخالديـة وطّدت هذه العلاقـة و وسـعت مـن جوانبهـا ربـما شـملت إضافـة إلـى البعـد الديني والحـج بعض الأمـور الاقتصاديـة والتجارية.

١٤ـ الأمير سيف بن جبر الخالدي: (ت ١١٣٣هـ)

الأمـير سـيف بـن جـبر بـن ثقبـة بن خالـد الخالـدي، تـولى إمـارة الحـاج الأحسـائي في عهـد الشـيخ سـعدون بـن محمـد بـن غريـر سـنة ١١٣٣هـ، وقـد كانـت وفاتـه في (أبا الجفـان)، وهـو مـورد مـاء في جنبي العرمـة في إقليم الخـرج، في نفس هذه السـنة أثناء رجوعهـم مـن البلـد الحـرام. ففـي سـنة ١١٣٣هـ خلال شـهر صفر مـرَّ حاج الأحسـاء عـلى العـارض، وهـو تحت قيادة الأمير سـيف بـن جبر، ولعله مـرض أثنـاء الطريق فمات

في منطقة(أبـا الجفان).[1]

ومـن هـذا نـدرك طول فـترة الحج التـي تبدأ مراسـمها من الأحسـاء والاسـتعدادات لهـا بعـد شـهر رمضـان المبـارك لتنطلـق ربما مـع بدايـات شـهر ذي القعـدة أو قبـل ذلك تحسـباً للظـروف الطارئـة خاصة وأن موسـم الحج مرتبـط بتاريخ محدد، والعودة في شـهر صفـر وذلـك لأن الحجـاج يمكثون بعـد الحج فـترة منتظرين المجاميـع المغـادرة لمكة بعد الحـج مبـاشرة خاصـة التـي تبعد مسـافات بعيـدة، والتـي غالبـاً تتجـه إلى المدينـة المنورة لزيـارة النبـي الأكـرمﷺ، وفي المدينـة قد تسـتغرق فـترة البقـاء إلى قرابة الشـهر، ومن ثم تكـون رحلـة العـودة إلى الوطـن، ولم تذكر المصـادر حجـم القافلة التي انطلقـت معه، أو معـالم الطريـق، إلّا أن (أبـا الجفـان)، بالعرمـة وهي من المحطـات والمراحل التي يسـلكها الحـاج في طريقهـم إلى الديار المقدسـة ذهابـاً وإياباً.

١٥ـ الأمير محمد المحاوي (المحاري) الخالدي (١١٤٢هـ):

عيّنـه أمـيراً عـلى الحاج الأحسـائي أمير الأحسـاء الشـيخ سـليمان بن محمد بـن عريعر الخالـدي سـنة ١١٤٢هـ، ويظهر أنـه لم يكن بذي خـبرة وحنكة ومـراس في إدارة الأمور، ممـا جعله لقمة سـائغة لقطّاع الطـرق من قبيلة مطير. وتسـبب في إحداث مجـزرة في الحاج قـرب منطقة (الحنـو)، يقول ابـن بشر، عن بعـض تفاصيل المجـزرة الرهيبة:

«وفيهـا أقبـل حـاج كثير مـن أهـل الأحسـاء والقطيـف والبحرين وغيرهـم، ومعهم أمـوال كثـيرة فاعترضهـم عربـان (مطـير) فأخذوهـم عنـد (الحنـو) وكان يومـاً عظيـماً، والحـاج في الغايـة مـن الأمـوال والرجـال غـير أنه خـال مـن التدبـير، وأميرهم يقـال له: محمـد المحـاوي، وهم في غايـة من السـفاهة والنذالة، اسـتعمله فيهم سـليمان آل محمد آل مطـير رئيس الأحسـاء لأجل مصالحـه ولأنه من جنسـه، وكان من الحاج أعيان الأحسـاء

١ . هكـذا ذكـر اسـمه ابـن لعبـون في تاريخـه: ١٤٩، بينـما الفاخري قال في اسـمه جـبر، ولعله اشـتبه أو سـقط مـن الفاخـري، لأن ابـن لعبـون متقدم عـلى الفاخـري في التاريـخ وأكثـر قرباً مـن الأحداث.

والقطيف والبحرين، وهلك أناس كثير، ونزعت الرحمة من قلوب الأعراب حتى أنه يهلك الهالك ما يسقونه ماءً،[1] وأخذوا الحاج الحساوي للحسوة»،[2] وهي منطقة تقع في جنوب شرق المدينة المنورة.

وفي هذا النص التاريخي مجموعة من المؤشرات المهمة من أبرزها:

إنّ قافلة الحج الأحسائي الخالدي تضم مجموعة من الحاج من الأحساء والبحرين والقطيف و«غيرهم»، في إشارة لحاج الفرس والهند ممن يأتون مع حاج الأحساء، وربما في بعض الرحلات بعض الحجاج العمانيين قادمين عن طريق البريمي.

تولى قبيلة مطير سلب الحاج عند عبورهم عبر أراضيها في طريق العودة من المدينة، وأنه قد تستخدم بعض القبائل أسلوب التشفي والانتقام لعد تمكنها من سلبهم في طريق الذهاب إلى الحج حيث تكون مؤونتهم أكبر، وما بقي من الميزانية لديهم هو مقدار ضئيـ يكفيهم للعودة فقط.

إن أمير الحاج هو من المناصب الحيويّة، وهو برغم أنه منصب تشريفي فهو في غاية الخطورة والأهمية بمكان، حيث أنّ أشدَّ مسؤولياته ومهامه تشمل التقصّي والتحرّي عن الطرق، وأيها أسلم وآمن للحاج من غيره، وكثير من القوافل تعدّ العدة للعودة من طريق ثم تعدل لغيره نتيجة لتغير الظروف الأمنية وبلوغها خطورة السير من بعض الطرق، ولعل هذا ما أشار إليه ابن بشر في تاريخه، وأن منصب أمير الحاج لا يؤخذ بالقرابة والنسب وإنما ينبغي أن يُعطى بالأهلية والخبرة.

وقد استمر بنو خالد في العناية بطريق الحاج و تسيير قوافل الحجيج طوال عهدهم ولكن المصادر التي تناولت تاريخ الدولة الخالدية أغفلت الكثير من جوانب هذه الرحلات حاولنا خلال السطور الماضية ذكر نماذج من هذا التاريخ الأحسائي خلال

---

١ . عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق ٢ : ٣٧٢.

٢ . تريخ ابن لعبون: ١٥٤.

هـذه الحقبة الزمنيـة الهامة.

١٦ـ سعود بن عبد العزيز آل سعود: (١١٦١ـ١٢٢٩هـ)

سـعود بـن عبـد العزيـز بـن محمـد آل سـعود حاكـم نجـد وملحقاتها، من الأحسـاء والقصيـم والوشـم وجبـل شـمر امتـد ملكـه مـن شـواطي الفـرات وباديـة الشـام، إلى أطـراف عُـمان واليمـن، ومـن الخليـج [الفـارسي] إلى البحـر الأحمـر.

ذهـب إلى الحـج لعـدة سـنوات كان الحـاج يرفقـه فيهـا خـلال السـنوات التـي كانت الأحسـاء خاضعـة لحكومتـه ودولتـه، لُقّـب بعد وفاتِـه سـعود الكبير.

فقـد كان أميراً لحاج الأحسـاء خلال السـنوات ١٢١٤هـ، و سـنة ١٢٢٢هـ، وكذلك سـنة ١٢٢٣هــ، وسـنة ١٢٢٤هــ، وسـنة ١٢٢٥هـ، واسـتمر في الحـج يأخـذ معه جميع المناطـق التـي تحت سـلطته، فعن سـنة ١٢٢٦هـ.

يقـول بـن بشر: «حـج حجته الثامنة سـنة ١٢٢٦هــ، فكان خروجـه في موكب مهيب شـمل مختلـف مناطـق دولتـه كالأحسـاء وعُـمان، ونجـد والجنـوب والحجـاز واليمن،[1] وخـلال هـذه السـنوات كما يظهر أنـه يأخذ كسـوة الكعبة من الأحسـاء، كما سـنبين ذلك في موضـع آخـر. إلى أن كانـت حجتـه الأخـيرة التـي حـج معـه الركب الأحسـائي سـنة ١٢٢٧هــ، حيـث سـقطت دولته عـلى يد محمد علي باشـا سـنة ١٢٢٨هـ، وكانت كسـوة الـ عبة مـن مصر.

١٧ـ الأمير رجب أفندي البيكباشي: (بعد ١٢٨٨هـ)

الأمـير رجـب أفنـدي البيكبـاشي، تـولي إمارة الحـج في الركـب الـذي انطلـق مـن الأحساء سـنة ١٢٨٨هــ، وقـد رافقـه في الرحلـة مفتـي العسـكر داود السـعدي المعرف بأفنـدي الـكبـاشي، الذي قـام بتدويـن تاريخ الرحلـة بـكل تفاصيلها، منـذ انطلاقها من الأحسـاء حتـى رجوعهـا، وقد ذكر خلالهـا العديد من الأحـداث التي تمثـل نموذجاً عن

١ . عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق ١ : ٣٢٧.

معاناة الحجاج أثناء رحلتهم إلى الحج. وقد تمّ الحديث عن هذه الرحلة في موضع آخر، بما اكتنفها من عقبات وصعوبات جعلها من أفضل رحلات الحج الأحسائي الموثقة التي تكشف طبيعة الحج وما يعتوره من أحداث مرهقة، كما ذكر المنازل التي سلكها الحاج وميزة كل منزل عبروا عليه، وفيها ذكر الوقت الذي يستغرقه المسير من الأحساء إلى الديار المقدسة.

الفصل الثاني: الرفادة والأعطيات لأهالي الحرمين الشريفين: الرفادة في اللغة:

رفد: الرفد، بالكسر: العطاء والصلة. والرفد، بالفتح: المصدر. رفده يرفده رفداً: أعطاه، ورفده و أرفده: أعانه، والاسم منهما الرفد. وترافدوا: أعان بعضهم بعضاً، والمرفد والمرفد: المعونة؛ وفي الحواشي لابن بري قال دكين:

خير امري قد جاء من معده من قبله، أو رافد من بعده

الرافد: هو الذي يلي الملك ويقوم مقامه إذا غاب. والرفادة: شيء كانت قريش تترافد به في الجاهلية، فيخرج كل إنسان مالاً بقدر طاقته فيجمعون من ذلك مالاً عظيماً أيام الموسم، فيشترون به للحاج الجزر والطعام والزبيب للنبيذ، فلا يزالون يطعمون الناس حتى تنقضي أيام موسم الحج؛ وكانت الرفادة والسقاية لبني هاشم، والسدانة واللواء لبني عبد الدار، وكان أول من قام بالرفادة هاشم بن عبد مناف وسمي هاشماً لهشمه الثريد.[1]

الرفادة والأعطيات الأحسائية:

مع بزوغ فجر الإسلام بارك رسول الله ﷺ هذه الخطوة وأيدها فاستمرت عادة وفادة الحاج والقيام على خدمته، بين رجالات المسلمين، وأصبحت عملاً تشريفياً يتبرك به ببذل الأعطيات لحجاج بيت الله الحرام.

---

١ . تاج العروس من جواهر القاموس، مصدر سابق ٣ : ١٨١ .

وقد استمر هذا العمل التشريفي في الخلافة الإسلامية، وكانت تتضمن الحلي والمجوهرات والملابس والأطعمة والأشربة، ممن يدخل السرور في نفوس الحاج وسكان الحرمين الشريفين، حتى أصبحت عادة تتميز بها مواكب الحج القادمة من العراق ومصر والشام واليمن وغيرها من مناطق خارج الجزيرة العربية.

وقد ساهم الأحسائيون في تقديم الأعطيات لأهالي الحرمين الشريفين، على نسق باقي المواكب والمحامل العظيمة القادمة من مختلف الأصقاع والأقطار كالعراق والشام ومصر واليمن وغيرها من المواكب الكبيرة التي كانت ترد إلى الديار المقدسة فتوزع العطايا والمساعدات للقاطنين في الحرمين الشريفين أو إلى الحجاج المعوزين القادمين من مختلف البلدان، وهذا عرف درج عليه أمراء وأعيان المواكب الكبيرة لقرون عديدة، وسمة بارزة في المواكب القوية بحيث ينتظر وصولهم الحاج وأهل الحرمين لعلى أحر من الجمر.

والموكب الأحسائي كان أحد تلك المواكب العظيمة والمعروفة والتي وازت في بعض سنواتها المواكب المشهورة من حيث العدد والهيبة.

وقد رسد لنا التاريخ بعض الأعطيات التي كان يقدمها الأحسائيون للحاج. منها ما كان على يدي أمير الحاج، ومنها ما بذله أهل الأحساء، حبّاً للتقرّب إلى الله أولاً، وإسهاماً منهم لخدمة بلاد الحرمين الشريفين.

قال السخاوي في (الضوء اللامع) عن الأمير أجود وهو يشيد بكرمه وعطاياه للحاج، وقد أيده السيد السمهودي كونه أحد المستفيدين من تلك العطايا وينالة منها :

«أكثر من الحج في أتباع كثيرين يبلغن آلافاً مصاحباً للتصدق والبذل وغيرهم. أفاد حاصله السيد السمهودي وبالغ معي في شأنه وهو ممن يكثر البذل له».[1]

١ . الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مصدر سابق ١ : ١٩٠ .

وحـج الأمـير أجـود بن زامـل في سـنة ٩٠١هـ، وكانت رحلتـه من الأحسـاء إلى مكة لمكرمـة حيـث قـام بـأداء فريضة الحج، ففي يـوم الاثنـين٥ ذي الحجة لعـام ٩٠١هـ كان وقت وصولـه إلى مكة.

يقـول صاحب (بلـوغ القرى بأخبار أم القـرى): «وفي هذا اليوم دخـل أجود بن زامل الجـبري صاحـب الحسـا والقطيـف وغير ذلـك، ومعه خلـق كثير يقـال إنهـم أربعة عشر ألفـاً أو أكثـر، وفرق عادته عـلى أصحاب الوظائف أظـن، وبعض النـاس والله أعلم».[1]

وهنـا إشـارة مهمـة في قولـه وفـرق عادتـه، في تنويـه أن توزيـع العطايـا كان عـ دة له وليـس حالـة اسـتثنائية عـلى قـرار مواكـب الحـج الكبـيرة التـي تـأتي إلى مكـة كالركـب المـصري والعراقـي والشـامي واليمنـي.

ويقـول: «عـلى أصحـاب الوظائف أظـن، وبعض النـاس»، وهنـا يبين مجـال التوزيع يكـون في اتجاهـين: أولاً: أصحـاب الوظائف مـن الأشراف وغيرهم الذين اعتـادوا أخذ الهبـات والعطايـا مـن أصحـاب المواكـب. ثانيـاً: سـائر الناس مـن المجاوريـن والحجاج المتواجديـن في مكـة، وهـذه هـي مجـالات الـصرف التـي اعتاد عليهـا أصحـاب المواكب للحـج البارزيـن. وكانـت تنتظر عطاياهـم في كل عـام، ويتطلـع الناس لقدومهـم طمعاً في نيـل شيء مـن تلـك الهبات التـي توزع عـلى أهل الديـار المقدسـة من الحـاج وغيرهم.

وتشـير بعـض المصـادر عن أنـواع العطايـا ومدى نفاسـتها ممـا يقدمه أمراء الأحسـاء وحكامهـا للحـاج، ففـي سـنة ٩٢٦هـ حـج حاكـم الأحسـاء مقـرن بـن زامـل الجبري، ويجلـب معـه العطايـا والهبـات التي تـوزع على أعيان مكـة وأشرافهـا والأعيـان والفقراء مـن الحجـاج وغيرهـم. يقـول ابـن أيـاس في بدائـع الدهـور: «الأمير مقـرن أمـير عربان بنـي جـبر، ... وكان مالكـي المذهب سـيد عربان الشرق عـلى الإطـلاق، وكان أتى مكة وحـجّ في العـام الماضي، وكان يجلـب إلى مكة اللؤلـؤ والمعادن الفاخرة من المسـك والعنبر

١ . بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى، مصدر سابق ١: ١١٩، ٢: ٥٧٤.

الخام والعود القماري و الحريري الملون، وغير ذلك من الأشياء التحفة، قيل: إنه لما دخل إلى مكة والمدينة تصدّق على أهل مكة والمدينة بنحو خمسين ألف دينار».[1] وفي هذا إشارة مهمة في تنوع العطايا وشمولها لأهل الدارين المقدستين مكة المكرمةوالمدينة المنورة وتشتمل على العطور والأحجار الثمينة والقماش الفاخر الذي يقدم للأعيان والوجهاء وكبار الشخصيات، كما يعكس هذا الأمر البحبوحة المالية التي كانت تعيشها الأحساء خلال القرن العاشر الهجري.

لم يكن أمر الأعطيات حكراً على ذوي المناصب من الحكم والزعامات السياسية، وإنما أمر شارك فيه التجار والأعيان والوجهاء الأحسائيون بما تسعهم القدرة والاستطاعة، فقد تركت لنا المصادر التاريخية معلومات شحيحة جدًّا عن هذا النوع من الأعطيات والهِبات، واكتفت بالإشارة إلى ما يبذله أمراء الحاج في هذا الصدد. وقد ذكرت لنا تلك المصادر عن خلف بن حمد بن مهيوب القحطاني الأحسائي،[2] المعروف بـ: «ملك التجار» (حدود ٧٩٠ـ بعد ٨٤٥هـ)،[3] المقيم في الهند، يقول تقي

١ . ابن إياس الحنفي، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، مكتبة دار الباز: مكة المكرمة، الطبعة الأولى: ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، ٥ : ٤٣١.

٢ . هو خلف بن حسن بن مهيوب مبن ناصر بن مُقدَّم بن القحطاني، ملك التجار القائم بدولة السلطان شهاب الدين أبي المغازي أحمد شاه، مُتملك كربلا، وغيرها من بلاد الهند، ولد حدود سنة ٧٩٠هـ بحصن القرمطي من الأحساء (الواقع بقرية البطالية)، و نشأ بها في كفالة أبيه، وكان من شيوخها، و قد بدأ حياته كتاجر بالهجرة إلى بلاد هرمز على الساحل الفارسي بفرسين جيدين، واشترى معهما أربعة، ومنها ذهب إلى الهند واتصل بالفقيه شمس الدين محمد الميموني، الذي شرى الأفراس منه، لتكون بذرة تجارته وسلطته، توفي بالهند في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري. المقريزي. تقي الدين أحمد بن علي (٦٧٧ـ٨٤٥هـ/ ١٣٦٥ـ١٤٤٢م)، درر العقود المفيدة في تراجم الأعيان المفيدة، حققه وعلق عليه الدكتور محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي: بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ٢ : ٥٧.

٣ . وذلك لأن المقريزي لم يُشر إلى موته أثناء تأليف الكتاب والذي يظهر أن وفاته كانت بعد وفاة المقريزي.

الديـن المقريـزي (٧٦٦ـ٨٤٥هـ) عن عطايـا خلف:

«ومـا زال يرسـل في كلِّ سـنة إلى أشراف بَنـي حَسَـ بمكـة، وأشراف بَنـي حُسـين بالمدينـة النبويـة بـشيء مـن الميراث، فيقـع منهـم الموقـع الحسـن لشـدَّة حاجتهـم».[1]

وهـذا إشـ رة إلى أن عطايـاه كانـت متكـررة عـلى مـدى أعـوام، ومرتبطـة في الغالب بالأطعمـة والمأكـولات، كـما فيـه بيـان للقـدرة الماليـة التـي كان عليهـا لتكـون عطايـاه لـلأشراف والتـي تكـون في العـادة جزيلـة وكبـيرة. ولا يبعـد أنـه كان هناك غـيره ولكن المصـادر لم تـشر، لأن معظـم الرصـد لتاريخ المنطقـة ارتبـط بالتاريخ السـياسي منها فقط، وشـذرات بسـيطة عـن الوضـع الاجتماعـي ممـا فـوّت علينـا الكثـير مـن هـذه الجوانـب المرتبطـة بوضـع الحاج على مختلـف الأصعدة والجوانـب والتي من بينها الهبـات والعطايا.

الفصل الثالث: صناعة كسوة الكعبة الشريفة في الأحساء: نبذة تاريخيّة

اشـتهرت مدينـة الأحسـاء منـذ مئـات السـنين بصناعـة النسـيج، وخياطـة المشـالح (العبـاء) التـي تصدرهـا لمختلـف مناطـق الخليـج [الفـارسي] ، وكان الأمـراء والزعـماء داخـل البـلاد وخارجهـا يفضلـون البشـت الحسـاوي لما يمتـاز به مـن دقة صنـع وجودة حياكـة لا يجدوهـا في المناطق الأخرى، وهـي صنعة توارثها الأحسـائيون جيل بعد جيل، أكسـبتهم سـمعة وشـهرة بارزة جعلتهـم يصـدرون نتاجهـم إلى دول الخليـج [الفارسي] كالبحريـن والكويـت والإمـارات وعـمان وقطـر، وغيرهـا كالعراق و سـوريا.

وكان يختـصّ بهـذه المهنـة عـدد مـن الأسر الأحسـائية عرفـت بفنهـا و تميزهـا في هذه الصنعـة، تنقلـت في أفـراد أسرهـا جيـلاً بعـد جيـل، منهـم عـلى سـبيل المثـال العـمار، المهـدي، الحـرز، الخـرس، المحمـد صالـح، الخاجـه، الرمضـان، القطـان، البـو نـاصر. القضيـب، النجـار، الخميس، الجعفـر، البوزيـد، وغيرها مـن العوائل التي تعود شـهرتها

١ . درر العقود المفيدة في تراجم الأعيان المفيدة، مصدر سابق ٢: ٦١.

في هـذا الفـن لمئـات السـنين، لـو اسـتغرقنا في التفاصيـل لخرجنـا عـن الموضـوع.

هـذا الأمـر كان الخلفيـة التاريخيـة وراءَ اختيـار منطقة الأحسـاء بالخصـوص لـ تكفل بصناعـة كسـوة الـ عبة، لمـا يمتاز أهل هـذا البلد من فـن و ذوق رفع في الخياطـة والحياكة ونسـج جعلهم محـل أعجـاب كلّ من تعامـل معهم.

ورغـم مـا لهذه المنطقة من إسـهام في كسـوة الكعبة ولو بشـكل محدود نجـد أن معظم المؤرخـين لتاريخ كسـوة الـ عبة يتغافـل عن هذه الجزئية مـن تاريخ الأحسـاء ويتجاوزها دون التفصيـل والتطـرق للدور الأحسـائي في هـذا الجانب الهام من كسـوة الـ عبة.

عصـور صناعـة الكسـوة: تشرّفت الأحسـاء بـأن تكون لهـا حظوة ونصيـب وشرافة في نسـج كسـوة الكعبـة المشرفـة، وذلـك في عـدة عصـور وحقب سياسـية مـرّت عليها، نوجزها عـلى النحـو التالي:

العصر الأول: الدولة السعودية الأولى:

ففـي الدولة السـعودية الأولى بعـد أن سـيطر سـعود بن عبـد العزيز على مكـة المكرمة ١٢٢٠هـ واسـتطاع عـزل الشريـف غالب مـن إمارتهـا، منع دخـول الحجاج الشـاميين والمصريـين إلى مكـة المكرمـة لمـا كان يـراه مـن دخولهـم في مواكـب تتضمـن الطبـول والموسـيقى بما يتعارض مع الشـريعة الإسلامية، وكانت كسـوة الكعبة ضرونها معهم.

وفي هـذه الحقبـة وصلـت الشـهرة الأحسـائية في صناعـة العبـاءة والنسـج الأفـاق، فـ ان الأشراف والأعيان في مكة يرتدون العباءة الأحسـائية كنوع مـن التفاخر واعتراف بـما لهـذا البلد من فـن وإتقـان في صناعـة العباءة.

فقـد كان الشريـف غالـب بـن مسـاعد (١٢٠٢ـ ١٢٢٨هـ) حاكـم مكـة يرتـدي الملابـس التـي يرتديهـا كبـار أهـل مكـة وعـلى رأسـه غطـاء مـن الحريـر وعليـه عبـاءة صناعـة الأحسـاء،[1] لمـ يمتاز به هـذا البلد من جـودة وتخصص في هذه الحرفـة والصنعة.

١ . إمارة الشريف غالب بن مساعد في مكة ١٢٠٢ـ١٢٢٨هـ، مصدر سابق: ١٠٦.

هـذه السـمعة الطيبة والشـهرة الواسـعة؛ جعل سـعود بـن عبدالعزيز يكلـف الصناع والمهرة الأحسـائيين بصنع كسـوة للكعبة المشرفة، وذلك عام ١٢٢١ هـ، فقد كسـا الكعبة بكسـوة أحسـائية قيلانية، وصفها لطـف الله بن أحمد جحاف اليمنـي (١١٨٩ـ١٢٤٣ هـ) بالقـول: «ولمـا نزل سـعود إلى البيـت أمر بأن تُنزع كسـوته، وكسـا الكعبة عباءة حسـاوية قيلانيـة، وهي مـن أفخر مـا عندهم».[١]

ووصـف بن البشر الكسـوة: «أنها كسـيت في الأعـوام التالية بالقيلان الأسـود الفاخر و جُعـل إزارها و كسـوة بابها حريراً مطـرّزاً بالذهب والفضة، وفي بعـض الأحيان تكون كسـوة الباب من الحريـر الأحمر».[٢]

وبعـد دخـول محمدعلي باشـا مكة تحـدث عن كسـوة الكعبـة قائـلاً: «بـأن العمودين وجـدران الكعبـة مغطاة مـن الأعلى حتى ارتفاع خمسـة أقـدام عن أرضية الـ عبة بكسـوة مـن حريـر وردي اللـون، يتخلله تطريـزات فضية».[٣]

ويؤكـد الدكتـور عبـدالله المطـوع مصداقية هـذه الروايـة: «والحقيقـة أن هـذه الرواية معقولـة جـدًّا؛ لأن الأحسـاء جـزء من دولة سـعود، بالإضافـة إلى أنها مشـهورة بالحياكة وصناعـة النسـيج الجيـد، ولهـذا فـلا يسـتغرب أن يكرّم بـل ويـشرّف أهالي تلـك المنطقة بصناعـة كسـوة الكعبـة المشرفة».[٤]

وفي السـنوات التـي تلتهـا مـن حكـم سـعود عـلى مكـة المكرمة كانـت تصنع كسـوة

---

١ . جحـاف، لطـف الله بـن أحمـد، درر نحـور الحـور العـين بيسـرة الإمـام المنصـور عـلي و أعـلام دولة الميامـين ١١٨٩ـ١٢٢٤ هــ/ ١٧٧٥ـ١٨٠٩م، تحقيـق: إبراهيـم بـن أحمـد المقحفي مكتبة الإرشـاد: صنعـاء، الطبعـة الأولى: ١٤٢٥ هـ: ٧٥٣.

٢ . عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق ١ : ٢٩٥.

٣ . إدارة مكـة المكرمـة في عهـد الدولة السـعودية الأولى: د. عبـدالله بن محمد المطوع، مجلة الـدارة، العدد الأول المحرم ١٤٢٩ هـ، السـنة الرابعة والثلاثون: ٩٧.

٤ . مجلة الدارة، العدد الأول المحرم ١٤٢٩ هـ، مصدر سابق: ٩٦.

الكعبة في الأحساء، وترسل إلى الحجاز لما وجد في التجربة الأولى من نجاح باهر وتميز، في الوقت الذي لم تكن أي منطقة من التي خاضعة للأمير سعود تمتلك هذه الموهبة والشهرة في الحياكة والخياطة للقيام بهذه المهمة العظيمة والشرف الكبير في الصنع خلال حكم سعود الكبير على الحجاز من سنة ١٢٢١هـ، إلى عام ١٢٢٧هـ، والتي انتهت بسيطرة محمد علي باشا عليها سنة ١٢٢٨هـ.

ففي هذه الحقبة توقفت مصر عن إرسال كسوة الكعبة المشرّفة مدة سبع سنوات حتى تستقر الأمور على أرض الحجاز، ولم ترسل للكعبة المشرّفة كسوة من مصر سوى في شوال ١٢٢٨هـ.[١]

مكان صنع الكسوة:

للمرة الأولى نسجت كسوة الكعبة بالأحساء سنة ١٢٢١هـ، في بيت أحد أبناء عائلة الشمس، وبالتحديد في منزل عيسى بن شمس بمدينة المبرز، في شارع الحاكة في فريق (حي) المجابل، وكان ذلك في وقت اشتهرت فيه عدة عوائل بحي المجابل بالمبرز بعمل نسج وخياطة المشالح، كعائلة السيافي، والبوعريش، والقديحي، والذي لا نستبعد ن يكون لهم مساهمة ومشاركة في نسج الكسوة الشريفة، إضافة لبعض النسّاج من مدينة الهفوف.

مكان صناعة الكسوة للكعبة المشرّفة في مدينة المبرّز بالأحساء، بوّابة البيت الذي كانت تصنع بداخله كسوة الكعبة المشرّفة أنقاض البيت في الوقت الحالي بعد قرار إزالته لكونه آيلاً للسقوط في السنة الثانية عام ١٢٢٢هـ، انتقلت صناعة الكسوة إلى مدينة الهفوف وبالتحديد في منزل الشيخ أحمد بن عمر الملا (ت ١٢٤٠هـ)، الواقع في حي الكوت بفريق (حي) الرويضة، وذلك لأن منزله واسع، على مساحة ألف متر

١ . حلمي، إبراهيم، كسوة الكعبة المشرفة وفنون الحجاج، كتاب اليوم يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم: القاهرة، د. ت]: العدد: ٣٢٠: ٥٩.

مربع، وكان ذلك بإشراف عبدالله بن إبراهيم السقوفي، وبعد الفراغ منها أرسلت إلى مكة عن طريق العقير إلى ميناء جدة، خشية عليها من قطّاع الطرق المتربصين في زوايا الطريق وبين تلاعه.[1]

والجدير بالإشارة أن حي الكوت هو مركز الحياكة وصناعة العباء في الأحساء في تلك الحقبة حيث برزت مجموعة كبيرة من الأسر كانت مصنوعاتهم ومنسوجاتهم من العباء والمشالح تصدر إلى مختلف أصقاع الجزيرة، وهم سبب شهرتها الكبيرة، من أمثال: البوزيد، أبو ناصر، الجعفر، الحرز، الخرس، الخميس، الخواجه، الرمضان، العمار، القضيب، القطان، المحمد صالح، المهدي، النجار، وغيرها.

ونتيجة للإتقان والجودة استمرت صناعة الكسوة في الأحساء إلى آخر عهد الدولة السعودية الأولى، متنقلاً نسجها بين مدينة المبرز والهفوف.

العصر الثاني: عهد الملك عبد العزيز آل سعود: نبذة تاريخية:

لن نتوغل كثيراً في تاريخ صناعة كسوة الكعبة عبر التاريخ كي لا يخرجنا عن إطار بحثنا، ولكن نشير إلى بدايات العقد الرابع من القرن الخامس عشر الهجري، حيث تشير المصادر إلى أن كسوة الكعبة منذ سنة ١٢٢٩ هـ، إلى سنة ١٣٤٠ هـ، أي ما يقارب (١١) سنة كانت تأتي من مصر ثم أوقفت مصر إرسالها في سنة ١٣٤١ هـ، فكساها الشريف حسين بالكسوة التي بعثت بها الدولة العثمانية منذ سنة ١٣٣٣ هـ، وذلك بسبب التوتر الذي نشأ بين الشريف حسين والملك فؤاد الأول، ثم قامت مصر بإرسال كسوة الكعبة سنة ١٣٤٢ هـ، مرة أخرى.

إلّا أنها عادت في سنة ١٣٤٣ هـ إلى انقطاعها من جديد بسبب دخول الملك

١ . لقاء منتشر في وسائل التواصل مع الدكتور عبد الإله الملا، حول مكان صنع كسوة الكعبة في الأحساء.

عبدالعزيز آل سعود الحجاز والاستيلاء عليها سنة ١٣٤٣ هـ،[١] حيث كساها الملك في هذه السنة بكسوة من صنع الأحساء.[٢]

كسوة الكعبة سنة ١٣٤٣ هـ في المصادر التاريخية:

كسيت الكعبة في صباح يوم عيد الأضحى من عام ١٣٤٣ هـ، بكسوة جديدة من صنع الأحساء،[٣] وقد بلغ عدد الحجاج تلك السنة مائة ألف من داخل نجد وملحقاتها، وما يقارب من السبعة آلاف حاج من خارج الديار العربية.

وقد نشر ذلك في جريدة أم القرى الصادرة من مكة في حينه في عددها الأول: «أن الملك عبد العزيز، وعندما كان في الحجاز لم تأتِ كما هو معتاد. عندها أمر جلالته بعمل الكسوة الشريفة بالأحساء،[٤] وبالفعل تمَّ نسجها وتطريزها على أكمل وجه وأرسلت من الأحساء لمكة المكرمة في حينه و وضعت على الـ عبة المشرفة صبيحة يوم عيد الأضحى المبارك عام ١٣٤٣ هجرية ١٩٢٥م».[٥]

وقد أشار الشيخ محمد طاهر كردي في كتابه «التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم»، نقلاً عن تاريخ الغازي قائلاً: «إنَّ كسوة الكعبة سنة ١٣٤٣ هـ، كانت من

---

١ . مؤذن، أعداد الطالب عبد العزيز عبد الرحمن، كسوة الكعبة وطرزها الفنية منذ العصر العثماني، إشراف الأستاذ الدكتور محمد رياض العتر، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في قسم الحضارة والنظم الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة سنة ١٤٠١ـ١٤٠٢هـ، غير منشورة: ٢٨٦.

٢ . كسوة الكعبة وطرزها الفنية منذ العصر العثماني، الهامش: ٢٨٦.

٣ . الغازي، عبد الله المكي الحنفي، إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقة المسمى بإتمام الكلام، دراسة وتحقيق: ا. د. عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، مكتبة الأسدي للنشر والتوزيع: مكة المكرمة، الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م، ٥ : ٧٣.

٤ . التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، مصدر سابق ٣: ٥٦٩.

٥ . جريدة أم القرى، العدد ٢٩ بتاريخ ٢٥ ذي الحجة ١٣٤٣ هـ، في صفحة: (حوادث محلية).

صنع الأحساء بأمر من الملك عبد العزيز».[1]

وإليك أخيراً نص الخبر تحت عنوان: (كسوة الكعبة المشرّفة): «فاتنا نذكر في الجزء الماضي من الجريدة خبر الكسوة الجديدة التي وضعت على الكعبة المشرّفة صباح يوم عيد الأضحى، وقد تأخر مجيء الكسوة التي تأتي من الديار المصرية فاستعيض عنها بكسوة من صنع الأحساء في الديار النجدية».[2]

ومن هذا الكلام كله نخرج بعدة أمور من أهمها:

إنّ أول كسوة للكعبة كانت بعد دخول مكة المكرمة تحت الحكم السعودي، صنعت على يد النساجين الأحسائيين، وذلك سنة ١٣٤٣هـ.

إنَّ الكسوة للكعبة المشرّفة كانت «مكسوة كسوة فاخرة»؛ كما يقول أحمد عبد الغفور، مما أدهش الحجاج المصريين وحكومتهم، أي لم تكن تقل مستوى عن الصناعة المصرية، إن لم تكن تفوقها، وهذا يؤكد عدم صحة القول إنّ الملك عبد العزيز وضع للكعبة الشريفة كسوة سنة ١٣٣٣هـ، وإلّا لكان المصريون تعرّفوا عليها أنها من صنعهم، بل ستكون بدل الإعجاب، محل سخرية وتهكم أنّ الملك لم يستطع إحضار كسوة جديدة للكعبة المشرّفة.

شهرة الأحساء الـ بيرة في الحياكة ونسج الخيوط وفن التطريز ساهم في وقوع اختيار الملك عبد العزيز عليها لصنع ونسج الكسوة التي تعد من أعظم المهام تشريفاً، كما أنه يشكل تحدياً أمام الأحسائيين بنتاج عمل يتوافق مع مستوى و جودة كسوة الـ عبة خلال الأعوام الماضية المصنوعة من أبرع المهرة المتمرسين، بحيث لا يلحظ الحاج و مرتاد بيت الله الحرام اختلافاً في المستوى والإتقان.

---

١ . الكعبة المشرفة وكسوتها، محمد بن سعد الشويعر، جريدة الجزيره: الجمعة ١٥ شوال، ١٤٢٠ العدد ٩٩٧٦.

٢ . جريدة أم القرى بعددها ٢٩ بتاريخ ٢٥ ذي الحجة ١٣٤٣ هـ، في صفحة: (حوادث محلية).

مكان صنع الكسوة في الأحساء:

وهـي من المسـائل التي شـغلت الأحسـائيين والباحثـين بحثـاً وتنقيباً وتفاخـراً لعظم الأمـر وأهميتـه، لـذا سـنحاول هنـا الاسـتفادة مما نـشر وتناقله الأحسـائيون حـول مكان صنع الكسـوة سـواء خـلال الدولـة السـعودية الأولى أو الثالثـة، والأسر العاملـة في هذه المهمـة الجليلـة والعظيمة.

كان محـلّ الصنـع في منـزل في حـي المجابـل بمدينة المـبرز في منز الأسره آل موسـى، والـذي يؤسـف له أننـا لم نعرف أسـماء المشـاركين في صنع الكسـوة.

إضافةً إلى قرية الجرن القابعة في شـمال الأحسـاء الشـهيرة بالصناعات الخوصية والمداد، حيـث سـاهم رجالاتهـا ونسـاؤها في عهـد الملك عبـد العزيز بـن عبدالرحمن آل سـعود في أول عهـده في صناعـة المـداد (الحـصر) للحرم المكي وقد اسـتمر ذلك لعدة سـنوات.

* * *

الباب الرابع: إطلالة على التاريخ الأحسائي في الحجاز ...

الفصـل الأول: مراسـلات الحـج بـين الدولـة الصفويـة وبنـي خالـد بـين عامـي (١١١٧ـ١١٩٥هـ)

جرت مراسـلات عديدة بين بعـض الزعماء في بلاد فارس المختلفة وحاكم الأحسـاء، وذلك في القرن الثـاني عشر الهجري.

منهـا مـا كان مـن دولـة بنـي خالـد في عهد الشـيخ سـعدون بن محمـد بن غريـر الذي اسـتمر حكمه بـين عامـي (١١٠٣ـ ١١٣٥هـ)، وكذلك وزيره الشـيخ ناصر الأحسـائي، وامتدت المراسـلات إلى سـنة ١١٩٥هـ، وذلك في عهد الأمير سـعدون بن عريعر الخالدي بغـرض طلـب الاهتـمام بالحجاج الإيرانيـين القادمـين إلى الحج عن طريق الأحسـاء...

...ومـما يجـدر ذكـره أنَّ هـذه الرسـائل تبـين الموقعيـة الاسـتراتيجية لمنطقة الأحسـاء،

توضّح ما تشكّله من أهمية لحجاج فارس، والمناطق القريبه منها، وسوف نتناولها من خلال العناوين التالية: عصر المراسلات: كانت المراسلات خلال وجود الحكومتين الدولة الصفوية في فارس (٩٠٧ـ١١٤٨هـ)، وبالتحديد في حكم حسين الأول بن عباس الثاني (١١٠٥ـ١١٣٥هـ)، و دولة بني خالد في الأحساء (١٠٨٠ـ١٢١٠هـ)، في الحقبة التي حـ م فيها الأحساء الشيخ سعود بن عريعر، أي بين عامي (١١٠٣ـ ١١٣٥هـ)، وهذه الحقبة بالتحديد قريبة من سنة ١١٢٠هـ، الفترة التي كان خلالها الشيخ ناصر الدين البويهي، وزيراً لابن عريعر، كما يقرّر ذلك الرحالة مرتضى بن علوان في رحلته إلى الأحساء، حين زارها خلال ذلك التاريخ، فقد قال: «ويذكروا (كذا) إن نصف أهلها شيعة، ونصفها سنة، ومتَّحدين اتحاد الأهل من غير عناد، وكذلك قراها، وكافلها و واليها وحاميها يقال له الشيخ سعدون من عرب خالد، ووزيره شيعي يقال له الشيخ ناصر، وأنه من أولاد مروان ابـ م كما أخبرنا، واجتمعنا ببعض أهل البلد من الفريقين، وكل منهما راض عن الآخر».

وقد مكث في الأحساء خمسة وعشرين يوماً، من عام ١١٢٠هـ، مما يجعل هذا التاريخ هو أقرب احتمال للمراسلات، ويقوي هذا الاحتمال أنّ وفاة الشيخ محمد مسيح الكاشاني ـ وهو أحد أطراف أغلب المراسلات ـ كانت حوالى سنة ١١٢١هـ.

والشيء اللافت في هذه المراسلات أن يكون طريق الحاج الإيراني عبر الأحساء، في حين كان درب زبيدة المعروف بطريق الحاج من الكوفة إلى مكة أقرب وأسهل، خاصة المقادمين عن طريق البرّ،[1] الذين يكون طريقهم عبر العراق، ومنها إلى الديار

١ . طريق الأحساء هو أقرب وأسهل الطرق بين إيران والحجاز؛ أذ أن المسافر بين إيران والحجاز يتعين أن يقطع أراضي العر ق بكاملها قبل أن يدخل صحراء الجزيرة العربية، بأبطإ وسيلة نقل في ذلك الزمن وهي الحمار، حـ لم يكن الجمل مستخدماً في النقل في تلك الأصقاع، بينما يستخدم المسافرون من إيران إلى الحجاز طريق البحر إلى ميناء أو القطيف، أو الجعيمة، ثم يستقلون الجمال، يضاف إلى ذلك أن العراق كان تحت الحكم العثماني، والعلاقة بين العثمانيين والصفويين متوترة كما هو معروف.

المقدسة في طريق متكامل الخدمات، ويعبره الحاج عبر العصور؛ مما يوحي بوجود مانع جعل الحاج في العصر الصفوي يستبدل ذلك الطريق بطريق الأحساء، ومنها إلى مكة المكرمة تحت حماية ورعاية حاكم بني خالد حينها الشيخ سعدون بن عريعر الخاليد، ونائبه الشيخ ناصر الدين الأحساني.

ولكي تتضح الصورة والحركة السياسيه التي كانت تعيشها الدولة الصفوية في هذه الحقبة الزمنية بالذات ينبغي أن نشير إلى عدّة أمور من أبزرها:

إنّ السلطان حسين، آخر حكام الدولة الصفوية (١١٠٥ـ١١٣٨هـ)، والذي صعد عرش الدولة الصفوية بعد وفاة والده الشاه سليمان الذي وافته المنية في الخامس من شهر ذي الحجة سنة ١١٠٥هـ، وصل الحكم والدولة كانت تعاني من ضعف وترهل داخلي و خارجي، نتيجة للصراعات والحروب التي كانت تعاني منها الدولة على عدة جبهات، منها الجانب الأفغاني الذي كان ينشد الاستقلال عن الدولة الضعيفة التي كان حكامها مشغولين بالملذات والملهيات، ناهيك عن القدرة السياسية في إدارة الأمور، فأخذوا يغيرون على المناطق الخاضعة للنفوذ الصفوي، ويقتلون ويسلبون، منها الذي حدث سنة ١١٠٨هـ في يزد عندما أغاروا عليها وأسروا منها ٨٠٠ شخص من سكانها، ولعل أول مؤشرات الخطر الأفغاني عندما قام ميرويس الأفغاني بقتل حاكم قندهار سنة ١٢٢١هـ، والسيطرة على المدينة.[١]

ومن الجهة الأخرى الدولة العثمانية التي كانت تضيق على الدولة الصفوية وتتصيد الفرص لإسقاطها رغم انشغالها سياسيّاً وعسكريّاً بالعدو الروسي الذي كان يعيش معها حاله اقتتال. وكانت تسيطر على معظم العراق، وقد بسطت نفوذها فيه، وأخذت تضيق على الحجاج الإيرانيين و تمنعهم من العبور داخل الأراضي الخاضعة

١ . الموسوي، إعداد عباس حسن (كمال السيد)، نشوء وسقوط الدولة الصفوية، مكتبة فدك: قم، الطبعة الأولى: ٢٠٠٥م ـ ١٤٢٤هـ: ٢٦٤.

لنفوذها وسيطرتها، إما بمنعهم من العبور أو عبر الهجمات المنظمة التي تشكل حالة قلق لدى الحاج الإيراني الذي كان يتخذ معبر زبيدة الذي هو طريق الحاج الشهير من الكوفة إلى مكة المكرمة، وتجعله يتجنب هذا الطريق قدر المستطاع.

في الوقت الذي كانت تعاني الدولة العثمانية من انهيار داخلي، مما أثر في معظم الولايات الدولة وخاصة الأقاليم النائبة كالأحساء، وزاد من ذلك مقاومة القبائل العربية للولاة والمتصرفين العثمانيين في الأحساء، وهذا السبب هو الذي مهد لنفوذ بني خالد لأخذ الحسا من يد الدولة العثمانية، وذلك في عصر السلطان محمد الرابع.[1]

ورغم ذلك حرص الخوالد على حفظ العلاقة الودية التي يشوبها الحذر مع الدولة العثمانية بعدم الإساءة لرجالات الدولة العثمانية في المناطق المسيطر عليها وإنما بإرسالهم سالمين إلى العراق، وهذا كان يتوافق مع مصلحة الدولة العثمانية التي لم تكن تريد فتح جبهة صراع جديدة لها في الخارج في الوقت الراهن على الأقل؛ إذ كان همها الأعظم أن تبقى الأحساء بعيدة عن أيدي القوى البريطانية.

في هذه الحقبة كان وجود الخوالد يعتبر كما يقول (الوزيناني): «خط الدفاع الشرقي عن مكة والمدينة وكان الخليج الشمالي خاضعاً آنذاك في مناطق الشمالية لشيوخه ورؤسائه الموالين أيضاً للدولة العثمانية، وهذا واضح مما كان يفعله بنو خالد الذين كانوا يقومون بحماية حجّاج العراق إلى الأراضي المقدسة للحج و حمايتهم من القبائل التي تقوم بقطع الطريق عليها، كقبائل الظفير وغيرها من القبائل الأخرى التي كانت تغير عليها، ففي سنة ١١٠٠هـ، قامت قبائل الظفير والفضول بقطع الطريق على حجّاج العراق بقرب التنومة؛ لهذا كان قيام حكام بني خالد بالغزوة تلو الغزوة لتأديب هؤلاء القبائل التي تتعرض لقوافل حجاج الدولة العثمانية من العراق، و حماية

١ . الوزيناني، إعداد الدكتور خلف بن دبلان بن خضر، الأحساء في القرن الثاني عشر الهجري، دار القاهرة: القاهرة، الطبعة الأولى: ٢٠٠٧م: ١٠٨.

قوافل الحج آنذاك يشكل مظهراً هامّاً من مظاهر وجود الدولة العثمانية وحمايتها لشبه الجزيرة العربية».[1]

وهذ لم يكن يجري من بني خالد دون مقابل وفوائد مادية تعود عليهم، الأمر الذي استفاد منها الصفويون في تسيير قوافلهم للحجيج بحماية بني الخالد الذين كان لهم صيت واسع في هذا المجال.

كما عانى الحاج الإيراني والهندي القادم عبر البحرين على حدٍ سواء بعد سيطرت الخوارج في عُمان، بعد شن عدّة هجمات على جزيرة أوال وإحداث مجازر كبيرة فيها كالتي حدثت في جزيرة النبيه صالح وغيرها، إضافة إلى قطع طريق الحاج القادم عبر تلك الأراضي.[2]

في ظلّ هذه الظروف الصعبة أصبح الخيار الأحسائي قويّاً، خاصة أنها تعيش حالة استقرار سياسي نسبي في ظلّ حكومة الخوالد الباسطين نفوذهم في المنطقة، وكانت لهم دراية بطريق الحاج القادمين من تلك الأنحاء وحمايتها.

علماً بأنّ طريق حاج الأحساء كان يسـ ه الحجّاج الإيرانيون قبل ذلك التاريخ بعدة قرون، خصوصاً سـ ان الساحل الفارسي منهم، والقريبين منها ما ذكره صاحب (الفوائد الرضوية)، في ترجمة (علي بن الحسن بن على بن محمد الرح العامل ما نصه: «قال أخوه الشيخ أحمد في (الدر المسلوك):

«وفي سنة سبع وثمانين وألف أخذت الأعراب حجاج العجم، في طريق الحسا بعد ما حجوا، وفقد منهم خلق كثير، وكان فيمن فقد أخي الأصغر الشيخ علي وسلم أخي الأكبر الشيخ محمد، وكان قد مضى على طريق البحرين ومعه ابن ملا خليل القزويني الأخباري وجماعة، ونظم قصيدة مطلعها: «ركبنا مُتون البحر في لجة

١ . الأحساء في القرن الثاني عشر الهجري، الوزيناني، مصدر سابق: ١٠٩.

٢ . نشوء وسقوط الدولة الصفوية، مصدر سابق: ٢٦٤ـ٢٦٥.

الأسرى، الأبيات».[1]

وقد استمر ذلك الطريق محل استحسان لدى الحجاج الأعاجم خلال القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجري، فقد كتب على نسخة من كتاب (في آداب السفر والحج) للسيد محمد باقر بن محمد تقي... لناسخ مجهول، على الغلاف الأول من المخطوط هذا التعليق الذي يعود لسنة ١٢٤٩ هـ:

«بسم الله الرحمن الرحيم. ليعلم أنّ هذا المنسك قد اشتريناه من الأعراب الذين نهجوا حجاج العجم طريق مكة على طريق الأحساء والمطلب التخلص منه حتى لا يخفى. سنة التاسعة والأربعين بعد الألف والمائتين».[2]

مما يقودنا إلى الجزم بأن الأحساء كانت تشكّل رابطةً هامة للحاج الإيراني، وطريقاً أساسيّاً يسـ ه الحجاج العجم، لماتتمتع به من أهمية قصوى، وقدرة على تأمين الحاجّ عن غيره من الطرق الأخرى، وما هذه المراسـ ت إلّا نتيجة دراية وخبرة قدم خلالها الحجاج من مناطق مختلفة من بلاد فارس، منهم من بندر بوشهر، وآخرون من خراسان، المشهد الرضوي، والحجاجُ الإيرانيون الذين وصلوا إلى البصرة، ولعل بعضهم من إصفهان أو غيرها من مناطق النفوذ الصفوي في تلك الفترة.

هذه الرحلات لم تكن تأتي إلى الأحساء عن طريق البر لما يتخلل هذا الطريق من مخاطر ومشاكل مع بعض البداة الذين يستغلون الحجاج من أجل النهب والسلب، وإنما تسلك الطريق البحري من الجهة الساحلية المطلة على الخليج [الفارسي] إلى ميناء العقير التابع للأحساء، ومنه إلى الديار المقدسة بالحجاز تحت الحماية الخالدية.

---

١ . القمي، الشيخ عباس، الفوائد الرضوية في أحوال علماء المذهب الجعفرية، تحقيق: ناصر باقري بيدهندي، نشر دفتر التبليغات الإسلامي، الحوزة العلمية: قم، الطبعة الأولى، ١٣٨٧ هـ ش، ٢: ٢٦٢.

٢ . فهرس مخطوطات الروضة الحسينية في كربلاء، سليمان هادي آل طعمة، مجلة الذخائر، العدد العاشر، ربيع ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠٢م: ٢٠٣.

مشاكل الحاجّ الإيراني:

كان هـذا الطريـق خيـاراً جيـداً نظـراً لتميّـزه، وتوفـيره عدة أمور تشـكّل نقطـة هامة للحـاجّ الفـارسي، يمكـن تلخيصهـا في التالي:

معرفة الطريق إلى الديار المقدسة:

إنّ معرفـة الطريـق المؤدي إلى المناطق المقدسـة يتطلـب خبرة بالمنطقـة وبطرقها الوعرة مـن السـالكة، الآمنـة مـن الخطـورة، وهـو الأمـر الـذي كانـت تفتقـر لهـا حملـة الحـج الإيرانيـة؛ لكونهـا في أرض غـير أرضهـا، ناهيـك عـن حاجز اللغـة الذي يكـون عائقاً في التواصـل مـع سـ ـان المناطـق التي يمـرّ عبرهـا الطريق.

وقـد كانـت إدارة الحـج الأحسـائي المتمثـل في دولـة بنـي خالـد حينهـا تمتلـك تلـك الدرايـة والخـبرة الطويلـة بالطـرق وأنواعها، ومميـزات كلٍ منهـا؛ لذا يكون مـن المجازفة والمخاطـرة عـدم الاسـتعانة بهـم، فذلـك قد يعـرض الحـاج للضياع.

إكرام الحجيج وتوفير سبل الراحة لهم:

و هـو مـن المطالـب التـي أكـذت عليهـا المراسـلات التـي وردت بـين الطرفـين، فقد ورد في الرسـالة السادسـة: «فرخَّصـوا حاجّـي البيـت العتيـق وأذنـوا في النـاس بالحـجّ مـن تلـك الطريـق، فالطريقـة الأنيقـة الوفاء بـما وعدتُـم في أمر حُجـاج بيـت الله الحرام، ورعايـة مـا عاهدتم في عابـري سـبيله الأحقّاء بوظائـف الإعـزاز والإكرام، فـإنَّ الكريم إذا وَعَـد وفى». وهـو أمـر ضروري، لمـا يتخلّـل الطريـق مـن مشـاق و وعـورة، لم يعتدها الحـاج الإيـراني الـذي لم يألف التضاريـس الوعـرة والجافة التـي هي من مميـزات الطبيعة في الجزيـرة العربية.

توفير الحماية والأمن للحاج:

يمـرّ طريـق الحـاج الأحسـائي في وسـط الجزيـره العربيـة عـلى عـدد مـن الأعـراب والبـداة منهـم الصالـح الـذي يكرم الحـاج، ويقدم لـه الخدمـات، و يعتبر ذلك شرفـاً له،

ومنهـم السـارق الذي يسـتغل عبورهم ليفـرض عليهم الاتـاوات، أو نهب مـا لديهم من غنائـم، وقد تصـل إلى الاعتـداء والقتل. الأمر الذي سـبب إيذاء نفسـيّاً و خوفاً للحجيج الآمنـين، وجعـل من الأمـور الملحـة توفير رجـال الأمن المدجّجين بالسـلاح المسـتعدين لأي اعتـداء قـد يعـترض طريـق القافلة، وقد أشـارت لذلـك المراسـلات الآتية.

مـن ذلـك ما نجد في الرسـالة الثانية بالقـول: «أن لا يألو جهداً في كـفِّ أذى الأعراب الطُغـاة، و فـكِ حبائل كيدِ يكادُ يكيد به سـائر المـردة العُتاة».

وفي الرسـالة الثالثـة: «حُسـن المعـاشرة مـع الحـاجّ، وصونهـم عـما كاد يعترضهـم في السّـبيل [و] الفِجـاج، وتوصيـة الأمـير والعسـكر، بإتيانهم زيارة سـيد البـشر، عليه وآله سـلام الله الأكبر».

بُعد الطريق عن نطاق سيطرة العثمانيين:

مـن العوامـل المهمـة التـي كان ينظر إليهـا الصفويون في طريـق الحاج أن يكـون بعيداً عـن سـيطرة الدولـة العثمانيـة التي كانت منافسـاً قويّـاً لهم، وحيـث أن الطريـق البري في معظمـه إما خاضعٌ لزعماء ورؤسـاء تابعين للسـلطان العثماني، أو محفـوف بالمخاطر الجمة في صحـراء قاحلـة، غير مأمون الجانـب من اللصـوص وقطّاع الطـرق في منطقة يعتبرون هـم أصحـاب النفوذ والسـيطرة فيهـا، فـ ن الخيـار البحـري إلى ميناء العقـير، ومنه تحت حمايـة الخوالـد إلى بـلاد الحجـاز مـن الخيـارت الممتـازة، والمأمونـة، وإن كان لا يبعـد أن الخيـار الـبري كان حـضراً حينهـا، لكثـرة الحجـاج القادمـين مـن إيـران، وسـيطرة قبيلة بنـي خالـد على معظـم الطريق المؤدي من البصـرة إلى الأحسـاء، وكان يرافـق الرحالة في بعـض الرحـلات حجاج من العـراق، لتكون الرحلـة في قافلة واحدة تشـق طريقها نحو الأحسـاء لتكـون طريقاً لهـم إلى الديار المقدسـة.

أمـراء الحـجّ : أمـير الحـاج، مصطلـح تاريخـي كان يسـتخدم منـذ العـصر الإسـلامي الأول، ويعنـي أن يعـين الحاكـم (أمـيراً للحاج) يتـولي قيادة الحـاج والقيام على شـؤونهم،

فكان هناك أمير الحاج العراقي، وأمير الحاج الشامي، وأمير الحاج المصري، وأمير الحاج اليمني، وتشير المصادر إلى اهتمام الحجاج بأمير الحاج ضمن الوفود المتحركة إلى الديار المقدسة، وكان يتم اختياره من أعيان البلاد وكبرائها المعتمدين والموثوقين لديها.

والذي نفهمه من المصادر حول أمراء الحاج في هذه الحقبة في العصر الصفوي ودور الأحسائيين في أنّ ركب الحجّ الإيراني يسير ضمن أميرين واحد لركب الحج الإيراني، وآخر لركب الحجّ الأحسايي، وقد يصحبهم في بعض الحالات ركب الحج العراقي، المختار من والي بغداد، يقول صاحب كتاب (نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس) المعاصر للدولة الصفوية، وهو يستطرد أحداث سنة ١١٣٢ هـ، وزيارة أمير الحاج الأحسائي السلطان حسين: «فلما كان يوم الجمعة تاسع شهر رجب ورد إلى إصفهان أمير الحاج الحسائي الشيخ محمد بن خالد آل غرير، من صوب سعودن شيخ بني خالد، ونزل بمحل لطيف فايح عاطر يسمى (فهوة الناظر) بأعلى حارة الخاجو، فأقام عـ ة أيام بإصفهان، ثم رحل إلى مدينة قزوين لملازمة السلطان ...».[1]

إلى أن يقول: «فلما كان ضحى السبت من ثامن شهر شعبان المعظم، عام اثنين وثلاثين و مائة وألف من هجرة النبي المكرم، لازم أمير الحاج مذكور في قزوين السلطان رفيع المرتبة والشأن، المشهور في الخافقين، واهب الألوف من صنوف الورق والعين، الملك المؤيد الشاه السلطان حسين، لا زال بجوار ربه قرير العين، صحبة الأمير المكرم ميرزا رحيـ الحكيم باشي، أي حكيم الحكما، والفاضل العلّامة، شيخ الإسلام، الملا محمد حسين ملا باشي، أي عالم العلماء، فأكرمه وأحسن مثواه، وأجزل صلته وعطاه».[2]

ومن خلال النصّ يتضح أنه كانت هناك زيارات من بني خالد إلى السلطان

١ . نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس، مصدر سابق ١ : ٣١١.

٢ . م. ن. ١ : ٣٢٢.

حسين رأس الدولة الصفوية، وأن عناية الخوالد بالحاج الإيراني تبداً من بلاد فارس إلى الأحساء، ومنها إلى مكة المكرمة ثم المدينة المنورة، إلى رجوع الحاج إلى ديارهم سالمين، كما كانت الدولة الصفوية تعتني بأمير الحاج الأحسائي، وتسعى إلى راحته وكسب ودّه ورضاه.

إن الحجاج القادمين من بلاد فارس من أنحاء الدولة الصفوية المختلفة، سواء من قزوين أو إصفهان أو أرض خراسان (مشهد الرضا عليه السلام)، أو غيرها.

إنّ هذه العلاقة استمرت لسنوات طويلة أقلها بين سنة ١١٢٠ـ١١٩٥ هـ، التي كان فيها الشيخ ناصر الدين بن بهاء الدين الخطي وزيراً ومستشاراً للشيخ سعدون، واستمرت إلى سنة ١١٣٣٥ هـ، آخر أيام الشيخ سعدون، كما لا يبعد استمرارها إلى بعد هذا التاريخ.

طريق الدعوة للحج:

لكلّ بلد عاداتها و تقاليدها في دعوة الناس للحج، وإعلامهم بأنّ موسم الحج قد أقبل، فمن أراد الالتحاق بالقافلة عليه الاستعداد لذلك، ويتضمن هذا العرض التشويق وإثارة المشاعر الدينية لدى الناس لحثهم وتشجيعهم بالتوجه للحج، وهي تعدّ جزءاً من التراث والموروث، والفلكلور الشعبي، وهنا يطالعنا السيد عباس لمكي، أثناء وجوده في إصفهان في هذه الفترة التي هي محل دراستنا عن مشاهداته، عن الآلية التي كانت تستخدمها الدولة الصفوية لإعلام الناس بدخول موسم الذهاب لأداء فريضة الحج فيقول:

«فلما كان خامس وعشرون من شهر شعبان المعظم عام ألف ومائة واحد وثلاثين من هجرة الـ ي المكرم صلى الله عليه وآله، وصل إلينا في إصفهان من قزوين أمير الحاج السيد مصطفى، من صوب باشا بغداد حسن باشا، وفي سادس وعشرين من الشهر المذكور، دارت ناقة الحج بإصفهان، وكيفية ذلك بأنهم يشدون المحامل ويسمّونها

الكجاوات على ظهور الجمال، ويركبون فوقها الأطفال، وكلهم لابسون الإحرام، ورافعون صوتهم بالتلبية لربّ الأنام، يحثون الناس لحجّ البيت الحرام، فيحصل الشوق للحج، ويرع الناس من كلّ فج، ويركب ذلك اليوم الأمير ويطوف في البلاد موكب كبير، فمن اشتاق لزيارة رسول الله صلى الله عليه وآله و حج بيته،[1] ...».[2] يستعد ويبادر للانضمام إليهم.

ولعلّ نفس الريقة تحدث في عدد من المدن، يجتمع بعدها الحاج من المناطق المختلفة ليسيروا في موكب موحد يضم جميع الحاج.

وقت انطلاق الحاج:

من خلال ما سبق من إشارات لقدوم أمير الحاج الأحسائي الشيخ محمد بن خالد آل غرير في شهر شعبان سنة ١١٣٢ هـ، وقدوم السيد مصطفى أمير الحاج العراقي من بغداد لمرافقة الحجيج من إيران من السنة التي قبلها ١١٣١ هـ، يتضح أن الحركة للحج في بلاد فارس تبدأ من نهاية شهر شعبان أو بداية شهر رمضان. نظراً لبعد الطريق، و تحسُّباً لما يتخلله من مشاق ومشاكل قد تكون غير متوقعة، وضمان الوصول قبل موسم الحج إلى الديار المقدسة.

نصوص الرسائل:

يبلغ عدد الرسائل التي استطعنا الحصول عليها (١١) رسالة ذكرها الشيخ حسين الواثقي في كتابه (ذخائر الحرمين الشريفين)، مرسلة من المسؤولين في الدولة الصفوية إلى الشيخ سعدون الخالدي، والشيخ ناصر الدين الأحسائي، وقد كتبت بلغة أدبية راقية، تنم عن مكنة لغوية عالية، إلّا أنه يمكن ملاحظة عدّة أمور عليها:

١ . يظهر وجود سقط في النسخة المعتمدة؛ لأن الكلام بعتدها غير مترابط، ومقطوع.

٢ . نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس، مصدر سابق، ١ : ٢٥٨ـ ٢٥٩.

إنَّ الشيء الذي يؤسف له أنّ الرسائل غير تفاعلية من طرف واحد فقط مما أفقدها جانباً مهماً عن معرفة الدور الأحسائي في طريق الحاج، وما يقدمه من خدمات؛ إذ المتوقع أنّ الرسائل المفقودة تتضمن عرض الخدمات التي كان يعمل عليها الطرف الأحسائي لخدمة الحاج، من توفير سبل الراحة والأمن والأمان لبلوغ الحاج الإيراني إلى الديار المقدسة إلى حين رجوعه، فكانت الرسائل الأخرى معظمها تقدم الثناء الجليل والمدح الجليل مقابل ذلك، وهذا بلا شك أفقد جزءاً مهمّاً من التاريخ الأحسائي.

افتقرت الرسائل إلى الأسماء والشخصيات الذين شملتهم رحلة الحج أو بعض الأحداث التي وقعت في الطريق، إضافة إلى خلوها من ذكر أي جوانب تفصيلية تكشف عن طبيعة الخدمات ومقدار المنجز منها، مما يجعل الرسائل سطحية ـ رغم أهميتها ـ وقائمةً على المجاملات في معظمها ومرتكزة على جانب الصياغة الأدبية دون التوغل في عمق العلاقة التي كانت بين الطرفين، مما جعل مجال الاستفادة منها محدوداً، قياساً لكمية الرسائل المتبادلة بينهما.

كما افتقرت الرسائل في معظمها إلى التاريخ، والبعض الآخر إلى أسماء الأشخاص المرسلين كعبارة: «من أحد رجال الدولة الصفوية» كما في الرسالة الثالثة، أو «أحد رجال الدولة الصفوية، الذي كان في بندر بوشهر»، كما في الرسالة التاسعة، أو لشخصية غير معروفة كالميرزا محمد حسين الحسيني أمير العساكر الإيرانيين في البصرة، كما في الرسالة العاشرة، مما قلل من مقدار الاستفادة من الرسائل.

الرسالة الأولى: من: المولى محمد مسيح الكاشاني.[1] إلى: الشيخ سعدون بن محمد

١ . محمد مسيح الكاشاني: المولى محمد مسيح الكاشاني الشهير بـ: «مولا مسيحا»، تلميذ المحقق آقاحسين الخونساري، المتوفى حوالي (١١٢١هـ)، قام بترجمة كتاب الشيخ المفيد (الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد) من العربيه إلى الفارسية باسم شاه سليمان الصفوي. راجع: الطهراني، الآغابزرگ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء: بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، ٣ : ٤٤٢.

بـن غريـر الخالدي.[1]

المحتـوى: الإخوانيـة، وإعـلام بـأنّ حُجّـاج إيـران يتخـذون البـصرة طريقـاً إلى مكة المعظمـة في تلك السـنة، وإيصاء،[2] الشـيخ سـعدون بخدمـة الحجاج وحراسـتهم، فله في ذلـك خـير الدنيـا والعُقبى.

نصّ الرسالة: [3]

إنَّ أولـى مـا يليـق بِصِـدق الولاء بعد السـلام وهـو الدعاء الـذي يتفرّع على شـجرته النامية ثمـرةُ الفـوز بِعظيـم المـرام، أي تَمهيل بقـاء المولى الجليـل الكريم، الحـريّ بكل ما يُتحـرّى للأجلـة من التبجيل والتكريم، المحمودة شِـيَمه، الوكّافة الحـري بكل ما يتحرى للأجلـة مـن التبجيل والتكريـم، المحمودة شـيمه، الوكافة عـلى الكافة ديمـه، الزائد على ابـن زائـدة،[4] المشـهور بالسّـخاء في معنـى الـبِرّ والامتنـان، السـابق معطيّ عطائـه في طيّ مضـمار الكرم جـواد جود الطائي،[5] المعروف بفضل المعروف والإحسـان، الذي تنسـقت

١ . سـعدون بـن محمـد بن غريـر آل حميـد الخالدي ثالـث حكام دولـة بنـي خالـد (١١٠٣ـ١١٣٥هـ)، تولـى بعـد وفـاة والـده محمـد بن غريـر آل حميـد واتصـف بالشـجاعة والقـوة، حيث لقب بسـلطان الـبر، وقـد بلـغ حكم بنـي خالد الـذروة في عهد هذا الزعيم من حيث الاسـتقرار والاتسـاع ليشـمل نجـداً والمناطق الشـمالية إلى الشـام إضافـة إلى شرق الجزيره العربية، وقد عـم ـ في فترة حكمة الطويلة ـ الهـدوء النسـبي؛ إذ أذعنـت لـه القبائل، ودفعت لـه الأموال مقابل سـماحه بارتيـاد المراعي الخاضفة تحت حكمـه. راجع: موسـوعة ويكيبيديـا الإلكترونية.

٢ . إيصاء: أي توصيته.

٣ . ذخائـر الحرمـين الشريفـين، الواثقي، الشـيخ حسـين، ذخائر الحرمين الشـريفين، المكاتبـات المكية، مطبعـة اعتـماد: قم: الطبعـة الأولى: ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م، ٧ : ١٩٥ .

٤ . معـن بـن زائـدة: أمـير العـرب أبـو الوليد الشـيباني، من أكـرم وأجـود النـاس. كان من أمـراء متولي العراقـين يزيـد بـن عمـر بن هبـيره، فلما تملـك بنو العبـاس جـدَّ المنصـور في طلبه، وجعـ لمن يحمله إليـه مالا، قتـل غيلة سـنة ٧٦٨م. موسـوعة ويكيبيديـا الإلكترونية.

٥ . حاتـم الطائـي شـاعر عـربي جاهلي (تـوفي ٤٦هـ/ ٦٠٥م) اشـتهر بكرمه وأشـعاره وجـوده، حتى

أضـواء نجوم سـعوده، وتدفقـت أنواء غيوم جوده، باسـل بطل لدى شـجاعته بطولة كل بطـل كامل. وبطل بسـل عنـد جرأته دعوى البسـالة من كل باسـل فاضـل، كعبة الشرف والشـامة، نجـد المجـد والعز والكرامة، قطب فلك سـو المكان، بدر سماءالسـعادة الشـيخ سـعدون ـ زاده الله تعالـى بسـطةً وحشـمةً، ومن عليه بـكل منّة ونعمة.

وبـد نـشر صحيفـة الدعـاء، وبسـط بسـاط شـوق اللقـاء، فـلا يخفى عـلى مـرآة ذلك الضمـير المنـير، أنَّ في فتح طريـق البصرة،[1] يفتح لكـم أبواب النصرة، وتسـتفيدون بذلك فوائـد غزيـرةٌ، ولكم فيهـا منافع كثـيرة، وقد رخص من ذلك السـبيل، وفـد حجاج بيت الله الحـرام، ورهـط المعتمريـن المتمتعـين بإدراك المشـاعر العظـام، أُذن لهم في هذه السـنة، أجر مـن أحسـن إليهم أجـر من جاء بالحسـنة.

وقـد خـرج مـن بيتـه مهاجـراً إلى الله ورسـوله، جمـع كثـير وجـم غفـير راجيـاً (آملاً. خ.ل) للظفـر بمأمولـه، ولقـد حاولوا بسرعة الحركـة، عوائد الاسـتباق إلى الخير والبركة، فبـادروا إليهـا عجـالاً. ونفـروا خفافـاً وثقـالاً، فينبغي لكـم الخـروج عن عهـدة العهود والمواثيـق المؤكَّـدة بغلائـظ الأيـمان، والدخـول بذلـك في زمرة الذيـن سـارعوا إلى مغفرة مـن ربهـم ورضـوان، بأن تحرموا للسـعي في سـبيل الله على وجه يليق، وتحرسـوا سـالكيه الآتـين رجـالاً، وعلـى كلِّ ضامـر مـن كلَّ فـجٍ عميـق، لئـلا يصـيروا طعمـة لـكلّ ذئب مفـترس، ونهبـة لـكلّ لـصّ مختلـس، فلا يسـتطيعون لهـم نـصراً، ولا يملكون لأنفسـهم نفعـاً ولا ضراً، فليكـن اعتناؤكـم بذلك جميـلاً، والاهتمام بما فيه صـلاح أحوالكم ونجاح آمالكـم ضامناً وكفيـلاً، ﴿**وَتَعاوَنُـوا عَلَى الْـبِرِّ وَالتَّقْوى**﴾[2]

أصبـح مـضرب المثـل في الجـود والكرم، سـكن وقومـه في بـلاد الجبلين (أجا وسـلمى) التي تسـمى الأن منطقة حائل شـمال السـعودية. موسـوعة يكيبيديـا الإلكترونية.

١ . هـو يشـير بذلـك إلى إمكانية الوصـول إلى البصرة بعـد خروجها لفترة مـن الزمن من سـيطرة الدولة العثمانية الموجـودة في بغداد.

٢ . سورة المائدة: الآية ٢.

وأطيعوا الله تعالى في الجهر والنجوى، وكيف لا يتنافس في كشف الضرّ عن الأحباب، مع ما في تنفيس الكرب من نفائس الأجر والثواب، ....

والسلام عليكم و رحمة الله وبركاته.

الرسالة الثانية: من: المولى محمد مسيح الكاشاني، صهر الفقيه الآقا حسين الخوانساري. إلى: الشيخ سعدون الأحسائي.

المحتوى: جواب عن كتاب للشيخ سعدون والإخوانية، والمعاهدة لحراسة الحجاج الإيرانيين الذين اتخذوا طريقهم إلى الحج من الأحساء، وإيصاء الشيخ سعدون برعاية الحجيج، فإن تم ذلك ستكون الأحساء طريق الحجاج الإيرانيين إلى مكة المعظمة في المستقبل.

التاريخ: غير محدد، لـ ن حكمة الشيخ سعدون على الأحساء كانت سنة ١١٢٠هـ، مما يحتمل أن تكون الرسالة في هذه السنة.

نصّ الرسالة:

بعد حمد الله ربّ البيت الحرام، والصلاة على النبي الأمي التهامي خير من ركن إلى الركن وأقام الصلاة خلف المقام، وآله الغر الكرام أئمة الأنام، الذين لا يتم حج الإسلام من دون الوقوف بعرفة معرفتهم، ولا يتأتي إقامة صلاة المحبّة للرسول إلّا بتكبير شأنهم وتسليم مكانهم، الذي هو من جملة الأبواب لمسجد طاعه الله باب السلام.

فالداعي إلى فتح أبواب الكلام بمفاتيح الأقلام، هو تبليغ المرام إلى جناب المولى الجليل النبيل المُعترف بفضله العميم كلُّ قاصٍ و دانٍ، والمغترف من بحر كفّه الواكف الكريم توكّف،[1] الامثال والاقتران، ذي الدرِّ ... تُستَقى من رَواء،[2] صلاته البادية و زُلال هباته المتكثّرة غير الممنونة سواقي عيون الإحسان وجبابُه، وتحتسي من

١ . توكف: التوقع. توكف تسيل. لسان العرب.

٢ . الماء العذب، لسان العرب.

أحسـائ أنديتـه الخافيـة وكـرار أعطيته المتكـررة المكنونـة تلاعُ الأحسـاء وهضابـه، بحر النـدى والفضـل الذي لا يُدرك سـاحله، وبر البر والطـول الذي لا يقطع مراحله، سـابق فرسـان البسـالة والشـهامة، فارس مضمار النبالة والكرامـة، الغنيّ عـن التعريف، الجامع لأحاسـن محاسـن التوصيف، باسـط بسـاط الأمن والأمان، مولانا الأجل الأكرم الشـيخ سـعدان،[1] أيـد الله تعالـى بقـاءه بالتأبيـد، وكثـر له بنـي خالد النعم الجسـام، وسـاعده في جميـع الأحوال بمسـاعد الجـدّ السـعيد، وحَماه مِن طـوارق الليـالي والأيام.

أمّـا أولاً، فإعـلام دعـاء بلـغ الغاية وخفقـت في مظان الدجابـة أعلامه، وأنهاء شـوق جـاوز النهايـة وتبدّي مـن خافق الوجـد والصَّبابـة غرامُه.

وأمّـا ثانيـاً، فإظهـار المسرّة البالغـة، والبهجـة السـابغة، بِـورود كتابـه الكريـم الذي احتـوى عـلى مـا يجـب رعايتـه مـن أمـر وَفـد الحـاج الآتـين مـن الفجـاج، مشـتملاً على اسـتدعاء وُفودهـم مـن ذلك المنهـاج، ومتضمّناً لشرائـط؛ منهـا أن لا يألو جُهـداً في كفُ أذى الأعـراب الطُغـاة، وفـكُ حبائـل كيـدٍ يـكادُ يكيـد بـه سـائر المـردة العُتاة.[2]

ولمـا حصـل الوثـوق بميثاقه المرصـوصِ أساسُـه، وكَمل الاعتـمادُ على شرطـه اللآمع بنـور الوفـاء نِبراسُـه، عرضنا هـذه المراتـب على مقـر اللطنة الباهـرة العُظمى،[3] ومسـتقر الدولـة القاهرة الكبرى، لا زال معفراً لِجباه السـلاطين، ومَلثَماً لشـافه الخواقين،[4] وتعهدنا مـن جانبـه الإيفـاء بالعهـود، واشـترطنا من طرفـه الوفـاء بما التزمـه من الـشرط المعهود،

---

١ . الصحيح سعدون بن غرير بني خالد العروف.

٢ . وهـو إشـارة لمـ تكبده الشـيخ سـعدون في مقاومـة قطّاع الطـرق من البداة الذين يسـتغلون موسـم الحـج للاعتـداء عـلى وفود الحـج و نهبم.

٣ . يقصد هنا مدينة إصفهان التي كانت مركز الدولة الصفوية.

٤ . الخاقـان: لقـب لـكل ملـك مـن ملـوك الـترك. والجمـع: خواقين، وقيـل: خاقـان: لقب مـن ألقاب السـلطان، وهـو لقب مغـولي في الأصل. راجـع: المصطلحـات المتداولـه في الدولة العثمانيـة، مصدر سابق: ٣٧٢.

ولذلك قرن المأمول بالحصول، واقترن المسؤول بحسن القبول، فيجب عليكم الخروج من عهدة هذه الضّمان، والدخول في زمرة الموفين بعهدهم عند الإخوان.

فما دُمتم مداومين على الوفاء بالشروط المزبورة،مساعدين لامي تلك النسك المبرورة، يدوم الأمر المُطاع بذلك، يُؤم ذلك السبيل فيسلك دون غيره من المناهج والمسالك، ويكون مشرب الإشفاق عليك صافياً، وقسط التوجه إليكم من جهة الوفاء بما عاهدتم عليه وافياً، وينساق وفد الحاج كلّ عامٍ إلى ذلك البلد ﴿**وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ**﴾،[1] و يجبى إليه ثمرات كلُ شيء فيرزق أهله منها وهم في ناعم العيش يتنعمون، ويكونُ أبواب الخصب والرَّخاء على قاطني تلك البلاد مفتوحةٌ، وبنعم لساكنيها البالُ عن الجدب والسنين مدى الدهر مندوحة.[2]

هذا مع ما يستحب بل يجب من ترك التواني في إسعاف الحجيج وإكرامهم، وعدم طي الكشح عن رعاية جانبهم والسعي في إنجاح مرامهم فإن إكرام أضياف الله خيرُ سجية وشيمة، ولا يبلغ ذروة فضله العالي من فضائل الكرائم، لا زال حبل ولاء الأحباء ممدوداً سالماً عن الانفصام، وبابُ حوادث الزمان على الأصدقاء مسدوداً ما طرز عباءُ سواد الليالي بطراز بياض الأيام.

الرسالة الثالثة: من: أحد رجال الدولة الصفوية.[3] إلى: الشيخ سعدون والي الأحساء.

المحتوى: وصول كتاب الشيخ سعدون، موافقة الحكومة الإيرانية على طلب الشيخ سعدون بإرسال قوافل الحجاج من طريق الأحساء إلى الحج، إيصاء الشيخ سعدون بحُسن المعاشرة مع الحجاج، وبذل الخدمة لهم. توصية الأمير والعسكر

---

١ . الأنبياء: ٩٦.

٢ . إشـ رة لوجود عطايا ومنح تبذل مقابل ما يقوم به الشيخ سعدون من خدمات لحجاج بيت الله الحرام عند توفير الأمن وسبل الراحة لهم.

٣ . ذخائر الحرمين الشريفين، مصدر سابق، ٧: ٢٠٢.

أن يمـرروا القوافـل مـن المدينـة المنـورة ليـزور الحجاج ضريح سـيد البـشر صلى الله عليه وآله .التاريخ: حـوالي سـنة ١١٢٠ هــ. المصـدر: المخطوطـة المرقمـة ١٨٣٩٣ في مكتبة مجلس الشـورى الإسـلامي، ص٤.

نصّ الرسالة:

التسـليمات الزاكيـات التي تنشـأ من حشاشـة الفؤاد، والتحيـات الناميـات التي تهبُ شـميمها مـن مـصر المـودّة والاتحاد، تخـص بها الشـيخ الأجـل، والمقـام الأمثـل، ذو العز الأثيـل، والمجـد الأصيـل، شرف الأروم والقبائـل، وسـلالة الأماجد والأماثل، شـمس السـماحة من سـماء جبهتـة طالعـة، وبدر النجابة مـن فلك نجدته سـاطعة، ينهـدم إركان الصّفـوف إذا ركـب، ويُقعـد قائمـة السُّـيوف إذا ضرب، لـو وزن البحـر المحيـط بكفِّـه ميـزان الاعتبـار لـكان كفُّه ميزان الاعتبـار، ولكان كفُّـه راجحاً، أو قيس السـحاب الماطر بجـوده، ونوالـه، لـكان السـحاب لقِطر الخجل سـائحاً.

وبعـد، فلقـد وصـل إلينـا كتابكـم السـامي، وخطابكـم النامـي، ولقـد عرضنـا كل مـا صدَّرتمـوه فيـه،[1] علي،[2] ...، وقلنا: إنّ الشـيخ كلامـه وذمامه ذمام، وتعهدنـا ثانياً من قبلكم، وصار حسـن سـلوككم في العام الغابر سـبباً لمزيد رغبـة الأكابر والأصاغـر، و عليكم بلزوم الطريقـة الغـرّاء، وتعاهـد المحجة البيضاء أعني حُسـن المعاشرة مع الحـاجّ، وصونهم عمّا كاد يعترضهـم في السُّـبيل [و] الفِجاج، وتوصية الأمير والعسـكر،[3] بإتيانهم زيارة سـيد البشر،[4]

---

١ . إشـارة لوجـود مطالـب لدى الشـيخ سـعدون مقابـل الخدمـات التي يقدمهـا للحجـاج الإيرانيين، وهـي بـلا شـك لو ذكـرت لكشـفت أمـور هامة.

٢ . يوجد سقط في المخطوط، والظاهر أن السقط هو اسم السلطان في إيران آنذاك.

٣ . إشـارة إلى أن موكـب الحـج الإيـراني يذهـب إلى الحـج مـع ما يقـرره الشـيخ سـعدون يرافقهم أمير ومجموعـة من العسـكر مـن أجـل توفير الحمايـة لهم.

٤ . بأخذهـم إلى المدينـة بعـد أداء مراسـم الحـج، فقـد ورد في الحديـث: «مـن حـج البيت ولم يـزرني فقد جفـاني»، راجـع: بحـار الأنوار، مصـدر سـابق ٩٩ : ٣٧٢.

عليه وآله سلام الله الأكبر، وعدم الزيادة عليهم عمّا قرّر وسطر. وكلما سنح لكم من أمر في هذه البلاد فعليكم الإعلام وعلينا الإتمام، وعليكم من الله العّلام سلام.

الرسالة الرابعة: مِن: المولى محمد مسيح الكاشاني،[1] إلى: الشيخ ناصر الدين الأحسائي،[2] وكان وزيراً لوالي الأحساء الشيخ سعدون.

المحتوى: الإخوانية، وجواب عن كتاب الشيخ ناصر الدين الأحسائي.

التاريخ: حدود سنة ١١٢٠هـ، حيث كان مشتغلاً بالوزارة كما ذكر ذلك السيد مرتضى بن علوان الدمشقي في رحلته المكية.

المصدر: المجموعة المرقمة ٨٣ في مكتبة حجة الإسلام الگلپايگاني بگلپايگان بإيران، الصفحات: ١٣٩ ـ ١٤٢.

ـ المجموعة المرقمة ١٦٣٩ في مكتبة آية الله السيد المرعشي النجفي بقم.

---

١. من ذخائر الحرمين الشريفين، مصدر سابق، ٧: ٢٠٤.

٢. الشيخ ناصر بن بهاء الدين الخطي الأحسائي، كان حيّاً سنة ١١٢٠هـ، من بيت علم. فوالده الشيخ بهاءالدين من الأعلام، عاش في القطيف، ثم عين وزيراً للشيخ سعدون حاكم الأحساء وأمير بني خالد، ذكره ابن علوان الدمشقي في رحلته إلى الأحساء سنة ١١٢٠هـ، فقال فيه: «ويذكروا أن نصف أهلها شيعة ونصفها سنة ومتحدين اتحاد الأهل من غير عناد، وكذلك قراها و كافلها و واليها و حاميها يقال له الشيخ سعدون من عرب خالد و وزيره شيعي يقال له الشيخ ناصر. وأنه من أولاد مروان ابن الحكم، كما أخبرنا واجتمعنا ببعض أهل البلد من الفريقين وكل منهما راض عن الأخر»، ووصف في العديد من الرسائل الواردة بالعلم والفضل، والمنزلة العلمية العالية، منها: (والشيخ الجليل الحريّ بكلِّ تبجيل و تكريم، السيّد العالم الهُمام البعيد الهمّة، المجلوِّ بأنوار علومه ظُلمات الجهالات المُدلِهمة، ذي المكارم والفضائل، قدوةِ أنوار المعارف وأضوائها، ومصباحِها المنير لصَباحها ومسائها). راجع: رحلة مرتضى بن علوان إلى الأماكن المقدسة والأحساء والكويت والعراق، تحقيق و تعليق: أ. د. سعيد بن عمر آل عمر، م تبة المتنبك الدمام، الطبعة الثانية: ١٤٢٥هـ: ٦٧. العويناتي، الشيخ عبد الزهراء، وزير دولة آل حميدان الخالديين الشيخ ناصر بن بهاءالدين الخطي، تموز: دمشق الطبعة الأولى: ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م: ٣٠.

نصّ الرسالة:

إنّ أبهى ما يرقّم في صكوك الصدور. من الغرر التي تباهي درر النحور، وأبهر ما ينظم في سلوك السّطور، من فرائد الفوائد التي تباهر اللآلي البحور، تحيّات رُقمت بطراز الوداد برودها، وتسليماتٌ نُظمت بأنامل الاتحاد عقودها، يليها الثناء الذي يلي الوفاء بعهود الولاء، ويتلوها الدّعاء الذي يُتلى على ألسن الدّاعين لدى ذِكر الأحبّاء، بأن يدوم وجودُ جناب المولى الكريم، والشيخ الجليل الحريّ بكلِّ تبجيل وتكريم، السيّد العالم الهُمام البعيد الهمّة، المجلوِّ بأنوار علومه ظُلمات الجهالات المُدلهِمة، ذي المكارم والفضائل، قُدوة الأكارم والأماثل، جامع شَمل الفنون العلمية، قاطِف ثمرات الأعمال من أصول العلوم الدينية،[1] مشكاة أنوار المعارف وأضوائها، ومِصباحِها المُنير لصَباحها ومسائها، الذي تَحلى بحلية الكرم والإحسان، و تزيّن بزينة كُلِّ خليقة من الخلائق الحسان، واحتوى على محامِدِ ذوي الأنساب والأحساب، وانتهى في مَحاسن الآداب إلى مرتبة قصُرت عن الوصول إلى تقريرها يدُ الإطناب، كهف الحاجّ والمُعتمرين، مولانا الشيخ ناصر الدين، أعلى الله تعالى بِناء مَعاليه، وأعزه في دولة كريمة يُعزُّ بها الفضلُ وأهاليه.

وبعد طيّ مراحل الاشتياق الذي قبل الوصول إلى غايته يَكبُو جوادُ القلم في ميدان بَيانه، وبسطِ بِساط الوِفاق الذي دُون البُلوغ إلى نهايته يَصدأ صارِم اليراع إذا تَصدّى لِقطع طريق شرحه وتبيانه، فالمكشوفُ على ضميره المنير أنه قد ورد في أشرف الساعات، وأكرم الأوقات، كتابه الكريم، وخطابُه الوَسيم، فابتسمت بوصوله أزهار حدائق الارتباط، وانفتحت بوروده وُرود رياض المسرّة والانبساط. لا أدري

---

١ . وهو إشارة واضحة إلى أن الشيخ ناصر الدين الأحسائي، إضافة إلى منصبه السياسي كوزير للشيخ سعدون الخالدي، هو من رجال العلم الأعلام الذين لهم مكانة دينية مرموقة، ويمتلك في قلمه لغة أدبية وعلمية راقية، جعلته محل الثناء والإعجاب، وإن كان الكلام هنا لا يخلو من مبالغة.

كيف أصِفُ جزّالة ذلك الكتّاب الذي قد انفرد في بابه، وليت شعري بأيّ يراعةٍ أرقُم براعة ذلك الرقيم الذي هو كهفُ لأصحاب الإرب وأربابه، لا يتأتّى مِن جّواد القلم أن يأتي بمثله الذي هو بعيد المَنال، ولمّا كان الغَرض مُنحصراً في إبلاغ التسليمات المُستطابة، وتبليغ الدعوات البالغة كعبة الإجابة، ختمت رسالة الكلام، بخاتمة الدعاء والسلام، قائلاً: لا زالت حاضرة لديكم أسباب التوفيق وأدواته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الرسالة الخامسة: من: المولى محمد مسيح الكاشاني. إلى: الشيخ ناصر الدين الأحسائي الذي كان وزيراً لوالي الأحساء الشيخ سعدون.

المحتوى: جواب عن كتاب الشيخ ناصر الدين. التاريخ: يرجع تاريخها إلى حوالي سنة ١١٢٠هـ، السنة التي كان فيها وزيراً للشيخ سعدون، كما ذكر ذلك مرتضى ابن علوان الدمشقي في رحلته إلى الأحساء. المصدر: المجموعة المخطوطة المرقمة ١١٦٣٩ في مكتبة آية الله المرعشي. المجموعة المحفوظة برقم ٩٦٠٩ في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي بطهران، الورقة ٨٧ حدوداً.

نصّ الرسالة:

حبذا مِن مُطوفات أقلام جناب المولى العالم الفاضل البارع الذي ثَقّف بالبراعة سِهام الفضل وقِداحَه، وأدار على مُشرّيبي ذلك المشرب الهنيء كُؤسه وأقداحه، محددٍ جهات مـ رم الأخلاق، مُجدّد آثار المآثر والمحامد على الإطلاق، فرع دوحة المجد الباهر، والشرف الناضِر، مَخدومِنا الماجد الشريف الشيخ ناصر نَصرهُ الله تعالى بفضله وكرمه، وفتح عليه أبواب أياديه ونِعمه.

إذ ألقت إلينا من وَكر الولاء القديم بيضة أنيقة من كتابه الكريم، فانفلقت كالصبح الصّادق عن نهارٍ صدق الوداد، وكشفت بما أنتجت من ظهورِ سَلامة تلك الذات الكريمة ذاتٍ مكارم الصّفات، عمّا أقرَّ العينَ وسرَّ سُّرة الفُؤاد، فساعده الله تعالى بكلِّ

سعادةٍ، ومنَّ علينا بطول بقائه الذي هو أحَلى من الحياة المُعادة، ثمّ المكشوف،[1] ...

الرسالة السادسة: من: المولى محمد مسيح الكاشاني. إلى: الشيخ ناصر الدين الأحسائي.

المحتوى: جواب عن كتاب الشيخ ناصر الدين، الذي طلب من سلطان إيران أن يتخذ حجاج إيران طريقهم إلى الحج من الأحساء، فوافق السلطان على ذلك، مع إيصائه بوفاء العهد بالحفاظ على سلامة الحجاج ورعايتهم في الطريق. المصدر: المجموعة المرقمة ١١٦٣٩ في مكتبة آية الله السيد المرعشي. المجموعة المحفوظة برقم ٩٦٠٩ في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي، ورقة ٩٨.

نصّ الرسالة:

المسؤول مـ مُجيب الدعاء، الخالي عن شوائب الرّياء الحَريّ بالاجابة، الوصل سهمه المارقُ عن جنية عَرض المرام إلى غرض الإصابة، أن يُديم بقاءُ حضرة المولى الكريم، الخلق لدى الخليفة بلوازم التعظيم والتكريم، المعروف بالعلم والعرفان، الموصُوف بالجود والإحسان، قُطب سَماء الفضل والشَّهامة، مركز دائرة العزّ والكرامة، قدوةِ الأكارم يقتدي به كلُّ غَمرِ الرداء في صلاة الصَّلات، وأسوةِ ذوي المكارِم يُقلده كلُّ من اجتهد مِنْ سالكي مسالك العطاء في سبيل الخيرات، هف الحاج والمعتمرين، مولانا الأعز الأكرم الشيخ ناصر الدين حَمَى الله تعالى حماه، و وقاه من كلِّ سوءٍ و حماه، إذ مَنَّ على الدّاعي لبقاء الأحباب، الرّاجي لخيرهم وصلاحهم في كلّ باب، بإرسال كتابٍ كريمٍ شهدتْ بفضل براعته بوارع الأرقام، ونطقت بِسبق يراعتِه نواطق الأقلام، وكشفت حِسانُ فقراتِه عن ظهور حُسن الإخاء، وتفتقت كِمام ألفاظه وعباراته عن زُهور المحبة والولاء، فحرّك شوقاً لا يزال في البال بَل في سائر الجسد تزايُده، وَبعثَ توقاً لا ينفك عن الخلد كثيرهُ وزائده، فلا زال بيتُ وُجُوده المبنيّ على

١ . باقي نص الرسالة مفقود في المصدر.

تحري الخير في كلب بابٍ معموراً، وسعيُه الجميل المُبتدأ من صفاء الطوية في طيِّ طريق الثواب مشكوراً.

وبعد إهداء هَدي الدعاء البالغ كعبة الإجابة، فالمنتهى إلى ذلك الجَناب الذي تنتهي إليه مآثر النجابة، أن وردة عريضته المُرسلة إلى مَقرِّ الخلافة الكبرى، ومستقر المُلكة العُظمى، في استدعاء رُخصة الحجيج من طريق الأحساء، قد فُتحت في حديقة حضور أولياء الدولة القاهرة، وعرضت بأسرها على أركان السلطنة الباهرة، ولمّا فاح مِن طيِّ أرقامها رياً في عرض المراد، وفاح من مسك ختامها أريج صِدق الولاء وخلوص الاعتقاد، تلقُوها بالقبول، وجعلوها مفتاحاً لِباب إجابة المأمول، فرخَّصوا حاجّي البيت العتيق وأذنوا في الناس بالحجّ من تلك الطريق، فالطريقة الأنيقة الوفاء بما وعدتُم في أمر حُجاج بيت الله الحرام، ورعاية ما عاهدتم في عابري سبيله الأحقّاء بوظائف الإعزاز والإكرام، فإن الكريم إذا وَعَد وفى، ومنْ أوفى بما عاهدَ عليه فله الجزاءُ الأوفى،[1] مع ما في ذلك من ترويج الملّة الباهرة، ومنافع أخرى لمن يريد الدُّنيا وحسن ثواب الآخرة، ولمّا صُدَّ القلمُ عن حَصر فوائده الجمّة، وأُحصِر عن عَدُ عوائده المهمّة، عاد عن الإحرام لبسط الكلام، وأُرسل هديُ التحية ثم أُحِل بوادي السّلام.

الرسالة السابعة: من: المولى محمد مسيح الكاشاني.[2] إلى: الشيخ ناصر الدين الأحسائي.

المحتوى: الودية والإخوانية. التاريخ: في القرن الثاني عشر، حدود سنة ١١٢٠هـ. المصدر: المجموعة المرقمة ١١٦٣٩ في مكتبة آية الله السيد المرعشي. المجموعة المحفوظة برقم ٩٦٠٩ في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي بطهران الورقة ٨٧ حدوداً.

---

١ . إشارة لما تقدمه الدولة الصفوية مقابل تسهيل أمر الحاج، ولما في مساعدتهم على أداء هذه الفريضة الواجبة، ونقلهم بأمن و أمان من فوائد دنيوية وآخروية.

٢ . ذخائر الحرمين الشريفين. مصدر سابق ٧ : ٢١٢.

نصّ الرسالة:

أبهى سَلام سَمتْ في سماء القبول شُموسه وأقماره، ودار في فَلك البلوغ والوصول ثابتهُ وسيّارُه، وأنمي دُعاءِ جرَت في رِياض الإجابة أنهاره، ... وشمسُ فضلٍ أصبح بإفاضة حقائقه اللاّمعة ليلُ الفضائل نهاراً. فاضلٌ يُضاهي الصّبح عمودُ كَماله، و عالمٌ أورق بالعرفان عُودُ إفضاله، المولى المَلكيّ الآداب، والصاحب المستغني عن الإطالة في الألقاب، فلان.

والمرجو مِمن يُجيب دعوة الدّاعِ إذا دعاه، ويُنادي في كل نادٍ لبسط فضله ونداه، ... ويُمد الرَّاجين فيمُد بطويل الرّجاء مدى مديد و جوده السامي.

أمّا بعد ... فإن المُحب المُشتاق وإن أبعدتهُ طوارقُ البِعاد عن التطرقِ إلى مجلس الحضور، وصرفتهُ صَوارِف الهَجر عن الاستضاءة بنور لقائه المحفوف بصنوف البهجة والسرور، لكنَّ مَناطق النُّطق بالثّناء على اللُسان مشدُودةٌ، وأيدي الدُّعاء في أكثر المظان مبسوطة وممدُودةٌ، سائلاً منه سبحانه أن يرفع مراتبه الفاخرة، ويسمع مطالبه في الدنيا والآخرة.

ثم المُلتمسُ منه دام فضله أن يذكرني بصالح الدُعاء، ولا ينساني في تلك الأماكن الشريفة التي يستضيء بنورها في الأرض نجوم السّماء، وأن يؤكد أركان الولاء في أكثر الأوقات، بإرسال صحائف الوداد المشتملة على حقائق الأحوال وإظهار ما اتفق من المُهمّات.

والسلام عليكم و رحمة الله وبركاته

الرسالة الثامنة: من: المولى محمد مسيح الكاشاني[1] إلى: الشخ ناصر الدين الأحسائي.

المحتوى: جواب عن كتاب الشيخ ناصر، وإعلام وصول مكتوبه، وإيصاؤه بوجوب الوفاء بالعهد الذي مضي حول الحفاظ على حجاج إيران في طريق الحج و

١ . ذخائر الحرمين الشريفين، مصدر سابق. ٧ : ٢١٢.

مراعاتهم. التاريخ: لعلها في سنة ١١٢٠ خـ، حيث كان الشيخ ناصر وزيراً تابعاً للشيخ سعدون الخالدي. المصدر: المجموعة المرقمة ١١٦٣٩ في مكتبة آية الله السيد المرعشي. المجموعة المحفوظة برقم ٩٦٠٩ في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي بطهران، الورقة ٨٧ حدوداً.

نصّ الرسالة:

أيّد الله تعالى بقاء جناب المولى الفاضل، والصديق الوفي نقاوة الأكارم والأفاضل، واقفِ مواقف الفضل والكرم، عالِم معالم الهداية يهدي للتي هي أقوم، جامع الشمائل الحميدة، حاوي الفضائل العديدة، رافع ألوية الفتوة والسّماحة، ناصِب رايات البلاغة والفصاحة، الأديب الساطع نورُه في آفاق مَحاسن الآداب، والأريب المُفتقِ نورُه في رياض محامد الألقاب. امتدَّ في البراعة باعُه، وبرع في طريق الكرامة حتى شَقَّ على من رامَ شَقَّ غُباره أتّباعه، جامع شتات المآثر، مولانا الألمعي الشيخ ناصر، رفع الله تعالى مقامه، وشغل بإعانة المؤمنين لياليه وأيامه.

أما بعد ...

فقد طلع من مَشرق الولاء الكامِن في صَدفة السُّوَيداء كالدرّ المكنون بأرقُ ابتهاج تجلّى كُنوز الشمس في مرايا العيون، خير بُرهةٍ من الأوقات، وأحسن دبانٍ يَحوي السعادات، إذ تفتح فيه وردُ وُرود كتابكم الكريم الذي أتاني، مُحتوياً على بديع البيان والمعاني، فكمّ مِن موهبةٍ هنيئةٍ قد أعطاني، وبُهجةٍ مُونِقةٍ قد إراني، فتمتع شَوقُ الوصال بصلة وصُوله، تنعم ذوقُ البال بنعمة حُلوله، والمرجوّ مِن طيبِ خ ئقكم الحسان، تكرير هذا الإحسان، فإنه المسك ما كرّرته يتضوّع، وغُصنُ الإخاء بتكرّر صحائف الولاء يتورّق، وأصله به يتفرّع.

ثـ المكشوف على ذلك الضمير المنير، والمشهود لدى ذلك الرأي المُستنير، أن ما أشعرتم به في طيّ تلك البطاقة الكريمة من أمر الحاج، والسعي في إرسالهم من

ذلـك المنهـاج، قـد حصـل بـأي طريقٍ تـأتي، وتجلّـى في مـرآة الحصـول على أحسـن وجه مـن وجـوهِ شـتى، كما زُبـر فيما كُتـب إلى جنـاب المولى الأجـل الأكـرم، ناشِرِ لـواء المجد والكرم، ناسـك مناسـك الفضل والإحسـان، الشـيخ سـعدون، متّعه الله بالعيش البهيج، وأعانـه بإعانـة طرائـف المعتمريـن والحجيـج، والمأمـول مـن صِـدق عُهودكم السّـعيُ في صفـاء المحبـة، والاهتـمام بوفائـه بما عاهـد عليه الأحبـة، ...

والسلام عليكم و رحمة الله وبركاته

الرسـالة التاسـعة: مـن: أحد رجـال الدولـة الصفوية،[1] ويظهـر أنه من السـادة، الذي كان في «بنـدر بوشـهر».[2] في ذي القعـدة الحـرام سـنة ١١١٧ هـ، عند كتابة هـذ المكتوب. إلـى: الشـيخ ناصر الدين الأحسـائي.

المحتوى: ودية. وتحبيذ بحسـن سـلوك الشـيخ ناصر مـع الحجاج الذيـن طريقهم من الأحسـاء، كـما آخبر العـالم الفاضل المولى أبو الحسـن، وأيصـاؤه بخدمة الحجـاج ليكون هـذا الطريـق مفتوحـاً دائماً للحجـاج الإيرانيين، وإرسـال صاحـب المكتوب ابنيه السـيد محمد حسـين والسـيد محمـداً إلى الحج من هـذا الطريق في عـام ١١١٧ هــ، والتوصية بهما. التاريـخ: ذو القعدة الحرام سـنة ١١١٧ هـ. المصدر: المنشـآت المخطوطـة المرقمة ١٨٣٩٣ في مكتبة مجلس الشـورى الإسـلامي، ص٢ـ٣.

---

١ . لم نستطع التوصل إلى اسمه.

٢ . مدينـة بوشـهر عاصمـة محافظة بوشـهر في جنـوب إيران على السـاحل الشـرقي للخليـج الفارسي، تبعـد عـن مدينة الأهـواز مسـافة ٤٣٤ كيلومـتراً إلى الجنوب، ذكر المسـتشرق والمـؤرخ في صفحة ٣٤ مـن كتابـه: «عـرب الخليـج»، وتقع بوشـهر إلـى الغرب من ري شـهر، وقـد أصبحت خـلال القرن الثامـن عـشر أهـم ميناء في إقليـم فـارس، وكانـت مقـرّاً عربيّـاً. وفي أوائـل عـام ١١٣٩ هــ، خطط لإنكليـز لإقامـة وكالـة ومقـر لهم في بوشـهر. ولقد نشـطت الشركة الهولنديـة هناك عـام ١١٤٩ هـ، وينتمي سـكان بوشـهر كما ذكـر كنيبهـاوزن إلى «ابو مهـير»، القبيلة العربيـة العمانيـة، والتي انحدت مـن ضواحـي مسـقط، أنظـر: سـلوت. ب. ج، ١٩٩٣. عـرب الخليـج ١٦٠٢ـ١٧٨٤، ترجمة عايدة خـوري. النسـخة العربيـة من إصـدار المجمع الثقـافي في أبوظبـي. الطبعـة الأولى: ١٩٩٣م: ٣٠٥.

نصّ الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد إتحاف ثناء بعجز عن تحمّلها الأوراق، وأهداء دعاء لا يتحمّلها مطايا الاشتياق، إلى جناب الشيخ الأجل. والصديق الأمثل، ذي الأوصاف الوضيّة، والأخلاق المرضية، فرد أفراد الدهر، وواحد آحاد العصر، عارج معارج الفضل والنهى، صاعد مصاعد السعادة في الآخرة والأولى، عنوان صحيفة م ارمه موشّح بذهب حمائد الخصال. وديوان مناقبه مرقوم من مداد العزّ والإقبال، عجزت ألسنة الأقلام عن الإطراء في مِدحته، وضاقت صفحات الأوراق عن تحمّل كريم خصلته، ذي العز الشامخ الباذخ، شيخ أعاظم المشايخ، بل أفضلهم من السوالف والغوابر، الشيخ ناصر، لا زال من الخالق منصوراً، وعند الخلائق مشكوراً.

فالشوق إلى كريم لـ ائكم على حيث يضيق عن الإحاطة به نطاق البيان، حيث اشتهرت مدائحكم في الأصقاع والبلدان، لا سيما بعدها ما ح ى الشريف الفاضل، والعالم العامل، قرّة عيني وحبيب قلبي المولى أبو الحسن ـ وفقه الله تعالى ـ من أوصافكم ما تبهر فيه العقول، وتتعجب منه الفحول، و خصوصاً حُسن السلوك مع الحاج في الام الغابر، جزاكم الله في ذلك خير الجزاء.

وحيث علمنا من مدائح أخلاقكم، ومحاسن أوصافكم، سالفاً و اَنفاً، تعهدنا عند الحضرة البهيّة السلطانية ـ أيدها الله بالنصر والتمكين، وأيدها بجنود من الملائكة مُرادفين ـ مِنْ قِبلكم لأجل الحاج، وعرضنا عليه: إنّ كلامكم كلام، وذمامكم ذمام، فعند ذلك رخص الحاج، وأمر بإدارة المحمل على طريق الأحساء ـ صانه الله عن ضروب البلاء ـ ولّما اطمأن قلبي من تلقائكم غاية الاطمئنان، رخَصت قرّة عيني، وفلذة كبدي، وثمرة فؤادي، محمد حسين و [ال] سيد محمد ـ أنشأهما الله نشأ الصالحين، وردّهما وسائر الحاج على أوطانهم سالمين غانمين ـ.

ونحن نوصيكم أولاً برعاية الحاج، وحفظهم عمّا يعترضم في السُبُل والفجاج،

ليكـون ذلـك سـبباً لفتح هـذا الطريـق، ورفع ما يعتريـه في بعـض الأحيان مـن التعويق، كيـلا يظهـر الأمـر خلافَ مـا تعهّدنا، وثانيـاً أن يكـون الولَـدانِ في ظل مِن عزّكـم، ومحلّ مـن مجدكـم، والله الموفـق لكل خير، والسـلام مـن الله السـلام عليكم.

الرسـالة العـاشرة:[1] مـن: الميرزا محمد حسـين الحسـيني أمـير العسـاكر الإيرانيين في البـصرة.[2] المنشيء: العالم السـيد محمد علي بن محمد حسـين الموسـوي الجزائـري الغروي، كان وزيـر جعفـر خان بن صـادق خانزند، وهو شـاعر كبـير، يحتمل الواثقـي في كتابه أنه كان كتـاب الرسـائل في حكومـة فـارس بشـيراز.[3] إلـى: الشـيخ سـعدون بـن عريعر بن دجين، من بنـي خالـد (١١٨٨ـ١٢٠٠هـ).

المحتـوى: ١ـ الإخبـار بغلبـة الجنـود الإيرانيـين عـلى الطغـاة. ٢ـ فتح طريـق الحجاج الإيرانيـين مـن ذلـك الجانـب بعـد أن كان مغلقـاً بسـبب الرتحـال سـلطان إيـران و عدم الأمـن. ٣ـ التوصيـة لعامـة الحجـاج والمعتمريـن بحفظهـم واسـترضاء خاطرهـم. ٤ـ التوصيـة بميرزا محمـد حامل هذ المكتـوب الذي قصد زيـارة البيت الحـرام. التاريخ: ٢ رمضـان المبـارك ١١٩٤هـ. المصدر: المخطوط المرقـم ١٦٧٦ في مكتبة الوطنية بطهران، الصفحـة ٢٦٢ـ٢٦٤ حـدوداً.

نصّ الرسالة:

جـرى حـ منـا العالي، عـلى خلاصة الأماجـد والأعاظم، سـلالة الأكابـر والأفاخم، غُـرة وجـه الـلآلي، وقمر براقـع الترافـع والتعالي، شـيخ المشـايخ المعظمين، فخـر الأكابر المفخمـين، قـدوة القبائـل، وزبـدة الأماثـل، الشـيخ سـعدون، أسـعده الله تعالـى بهدايـة

---

١ . ذخائر الحرمين الشريفين، مصدر سابق ٧ : ٢٢٠.

٢ . أحـد قـوّاد الدولـة الصفويـة بعد سـيطرتها عـلى بلدة البـصرة في حربها مـع العثمانيين، الذين بسـطوا نفوذهـم عـلى معظم العـراق. ذخائـر الحرمين الشريفـين، ٧ : ٢٢٠.

٣ . ذخائر الحرمين الشريفين، ٧: ٢٢٠.

المُحرِمين، وحداية القاصدين. إلى زياره سيد الأنام عليه آلاف التحية والسلام.

بعد الوثوق بالله، والاتكال على الله، فكن على أسرّ حالٍ بما أتّفق لنا من الفتوحات العظيمة على الفئة الباغية، وأفرح بالٍ بغلبة جُندنا الغالب على الطائفة الطاغية، فبحمد الله تشتّت شملهم، وتفرّق جمعهم، حتى ما بقي منهم إلّا شرذمة قليله في غاية الندامة والنكال، المتحيرين في أسوء حال في البراري والجبال،[1] فانتظم المُلك، ... ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

ألا، فلمّا ثبت وفور أخلاصك بمحضرتنا العالي، ومزيد اختصاصك بخدمتنا المتعالي، وأطّلعنا على حسن سلوكك مع المترددين من الأداني والأعالي، سيّما المُحرمين إلى طوف بيت الله الحرام، والزائرين قبر النبي عليه السلام، تشيّد أركان المحبة السابقة، وقوى بنيان المودة السابقة، صدر فرماننا،[2] المطاع، وحكمنا اللازم الإتباع، على جميع الأطراف والأكناف من ديارنا، والمستظلين تحت ظلال اختيارنا، ممن قصد أن يطوف بالبيت العتيق، بأن يأتوكم على الطريق، ولارتفاع الأمنية والأمان، بعد ارتحال الخاقان،[3] عليه شآبيب الغفران، إلى هذا الأوان، لإفساد المفسدين من أهل الطغيان، ما

١ . في هذه الفترة كانت هناك محاولات عديدة من قبل الدولة الصفوية لفرض نفوذها على مدينة البصرة لما تشكله من أهمية اقتصادية وسياسية في المنطقة، وهي في معظم الأوقات كانت خاضعه لسيطرة الدولة العثمانية وولاتها، إضافة إلي ما كان فيها من مقاومة داخلية من قبل الأهالي من رفض لذي عدوان خارجي، ولعل هذا الكلام إشارة لما كانت تعيشه مدينة البصرة العراقية من تقلبات سياسية عديدة.

٢ . فرمان: لفظ فارسي معناه أمر أو حكم أو دستور موقع من السلطان. والفرمان العثماني هو قانون بأمر من السلطان العثماني نفسه و ممهور بتوقيعه وهو نافذ من دون رجعة عنه. وكانت تدعى الأمور العالية للخديوي في مصر بالفرمان أيضاً. راجع: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مصدر سابق: ١٦٤.

٣ . خاقان: لقب لكل ملك من ملوك الترك والتتار، ويختصر اللقب إلى خان أوقان. راجع: المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مصدر سابق: ٣٧٢.

قـدروا النـاس عـلى الحجّ والزيـارة، وانقطع بـاب المعاملة والتجـارة، والحـال بعون الملك المعـين، قبضنـا الممالـك مـن يـد المخالفـين، وقطعنا أيـادي سـلطنتهم من النـاس أجمعين، فتكثّـروا الحجـاج والمعتمرين، وازدادوا التجـار والمترددين مـن العباد، لأنه يورث عمران البـلاد، وسـبباً لاشـتهارك بالسـداد، فأرضِهـم ما كانـوا في أرضـك، وداريهم مـا داموا في دارك، سـيّما حامـل كتابنـا المـيرزا محمـد. إيـاك والتعديـة الفاقرة، لمـا فيه من خـزي الدُّنيا وعـذاب الآخـرة، وبـه الكفايـة، وحُرر ذلـك في ثاني شـهر رمضان سـنة ١١٩٤هـ.

الرسـالة الحاديـة عـشرة: مـن: المـيرزا محمـد الحسـيني أمـير العسـاكر الإيرانيـين في البـصرة. المنـشيء: العـالم السـيد محمد علي بن محمد حسـين الموسـوي الجزائـري الغروي. إلـى: الشـيخ سـعدون بـن عريعر بـن دجين مـن بنـي خالـد، حاكم الأحسـاء.

المحتـوى: التوصيـة بالأمـير أحمد سـلطان ـ من أمـراء خراسـان و مرافقيه الذيـن أمّوا البيـت الحرام ـ بالخدمة إليهم، واسـترضاء خاطرهـم في ذهابهم وإيابهـم. التاريخ: جمادى الأولـى سـنة ١١٩٥هـ. المصـدر: المخطـوط المرقـم ١٦٧٦ في المكتبـة الوطنيـة بطهـران :٢٦٤ـ٢٦٦.

نصّ الرسالة:

جـرى حكمنـا العـالي، عـلى خلاصـة الأعاظـم والإطيـاب، وسـلالة الأماجـد والأنجـاب، قـرّة أعـين المجـد والإكـرام، وغـرة ناصية الغـزّ والاحـترام، من أسـعده الله بـين الأنـام، بدلالة المُحرمـين والقاصدين إلى طواف بيـت الله الحرام، وزيارة سـيّد البررة الكـرام، عليـه آلاف الصـلاة والسـلام، شـيخ المشـايخ العظـام، وعـن الأعـالي الفخام، الشيخ سـعدون.

بعـد الوثـوق بـالله والاتـكال عـلى الله، لا يخفـى عليك، أسـبغ الله نعـماءهُ لديـك، بإن حامـل كتابنـا هذا عمدة الأعاظـم والأعيان، وزبـدة الأماثل والأفران من أهل خراسـان، أمـير أحمـد سـلطان، معـه طائفة من مُحرمـي طواف الحـرم، وقاصـدي زيارة سـيّد الأمم،

قـد أتانـا راجيـاً مـن جنابنـا رخصة الوفـود عـلى ديـارك، والعبور عـن مصـدر اختيارك، واسـتدعى من جنابنـا تحرير كتاب المحبة إليـك، وتكليف بذل المجهـود عليك، بإبلاغهم إلى مـدارج آمالهـم، وطـف همّتـك عـلى إيصالهم، بأقصـى مراتـب مقصودهـم ومرامهم، وأعلـى معـارج مأمولهم ومهامّهم، فرخّصناهـم مُنجحين من بابنـا، وابعثناهم إلى دياركم عـن أعتابنـا، وطيّبنـا خواطرهـم مـن كلّ بـاب. بمعاونتـك عليهـم بعـد الـورود بتلـك الأصـواب، فينبغـي لـك أن تُرضيهـم مـا كانوا في أرضـك، وتُداريهـم ما دامـوا في ديارك وأرضـك، و تبـذل المجهود بمسـيرهم، ووصولهـم إلى ذلك البلد الأمين سـالمين آمنين ... بعـون الله القـادر العلّام، وبـه الكفاية.

وحرِّر في جمادى الأولى سنة ١١٩٥هـ...

* * *